

صور من مظاهر الحضارة المتشابهة بين مدينتى الإسكندرية ورباط الفتح

بحث مقدم من الدكتورة

سحر السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامى

والحضارة الإسلامية المساعدة

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

1. The first part of the document is a list of names and titles, including "The Hon. Mr. Justice" and "The Hon. Mr. Justice".

2. The second part of the document is a list of names and titles, including "The Hon. Mr. Justice" and "The Hon. Mr. Justice".

3.

4.

5. The third part of the document is a list of names and titles, including "The Hon. Mr. Justice" and "The Hon. Mr. Justice".

6.

١٨- لقد كانت سياسة البطالة هو سيطرة الدولة على اقتصاديات البلاد، فإن هذه السيطرة قد اختلفت درجاتها بين الاحتكار الجزئي ومن بين الصناعات التي خضعت لاحتكار الدولة الكامل صناعتا الزيت والملح ... حيث كانت الدولة تجدد كل سنة مساحة الأراضي التي يجب على كل مديرية أن تزرعها بالنباتات المنتجة للزيت .. ولقد ازدهرت صناعات الزجاج والفخار والعمود والفنون الصغيرة.

١٩- عدم اعتماد الصناعة في مصر كما في اليونان على العبيد بشكل أساسي وسبب ذلك هو كثافة السكان في مصر.

٢٠- وجود نظام احتكار حكومي واسع المدى طبقاً لسياسة البطالة العلمية وحيث يتفق مع احتياجات الدولة المتباينة ... فكانت الأعمال المصرفية من بين هذه الاحتكارات ... واحتكار صناعة الزيت وتحديد المساحات التي تزرع بالنباتات الزيتية ... ومنح حق بيع الزيت بطريق الالتزام لتجار الجملة وتجار التجزئة مع تحديد السعر الذي يجب أن يبيعوا به هذه المنتجات ... واحتكار المنسوجات والكتان والصوف وعدم السماح بصناعتها للأفراد إلا في حالة المعابد لاحتياجاتها فقط.

٢١- التفرقة في المعاملة بين جميع الرعايا في مصر .. فقد فرق البطالة بين الإغريق المقدونيين والمصريين ... وسيطرة الإغريق على جميع الوظائف العليا في الإدارة والجيش ... الخ. واقتصار المصريين على الحرف وأعمال السخرة للفلاحين المصريين وحدهم ... وبناء عليه كان يحس المصريون بتدنى أوضاعهم في مقابل تميز كل الجاليات الأخرى بصورة أو بأخرى.

هوامش البحث

- (١) لزويد من التفاصيل أنظر : ايدرس بل، مصر من الإسكندرية حتى الفتح العربي، دار النهضة المصرية، ١٩٥٤، ص ١٢ - ١٤.
- (٢) محمد عواد حسين، الإسكندرية منذ أقدم العصور، ١٩٦٢، ص ١٢.
- (٣) أنظر : حسين الشيخ، دراسات في تاريخ حضارة مصر اليونانية والرومانية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠، ص ١٩.
- (٤) أنظر : لطفى عبد الوهاب، دراسات في العصر الهلينيستي، ص ٤-٤.
- (٥) أنظر : لطفى عبد الوهاب، مرجع سابق، ص ٨ - ١١.
- (٦) عبد اللطيف أحمد على ومحمد عواد حسين، مرجع سابق، ص ٦٦-٦٧.
- (٧) محمد سيد محمد، الفزق الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ١٩٩٤، ص ٢٥.
- (٨) محمد عواد حسين وآخرون، تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ١٩٦٢، ص ٩.
- (٩) ايدرس بل، مصر من الإسكندرية حتى الفتح العربي، ترجم عبد اللطيف على دار النهضة المصرية، ١٩٥٤، ص ٨ - ٩٩.
- (١٠) أنظر : محمد عواد حسين وآخرون، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ١٩٦٢، ص ٢٢-٢٣.
- (١١) ايدرس بل، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥.
- (١٢) محمد عواد وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٦.
- (١٣) مصطفى العبادي، مصر، ص ١٠٩.
- (١٤) محمد عواد حسين، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ١٩٦٢، ص ٤٢-٤٤.
- (١٥) أنظر : محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٥-٤٧.

- ١٦) أنظر : ايدرس يل، مرجع سابق، ص ١٠٢-١٠٢.
- ١٧) أنظر : مصطفى العبادي، مرجع سابق، ص ١١٠-١١١.
- ١٨) أنظر مصطفى العبادي ، مرجع سابق، ص ١١١-١١٢.
- ١٩) أنظر مصطفى العبادي ، مرجع سابق، ص ١١٢-١١٣.
- ٢٠) أنظر مصطفى العبادي ، مرجع سابق، ص ١١٤-١١٥.
- ٢١) أنظر مصطفى العبادي ، مرجع سابق، ص ١١٦.
- ٢٢) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦.
- ٢٣) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٧.
- ٢٤) أنظر مصطفى العبادي ، مرجع سابق، ص ١٤٤.
- ٢٥) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٨.
- ٢٦) مصطفى العبادي ، مرجع سابق، ص ١٤٤-١٤٥.
- ٢٧) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٠.
- ٢٨) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٢.
- ٢٩) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ١١٤-١١٥.
- ٣٠) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ١١٧.
- ٣١) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ١١٩ - ١٢٠.
- ٣٢) محمد عواد حسين وآخرون، مرجع سابق، ص ١٢٠.
- ٣٣) أنظر حسين الشيخ ، مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.
- ٣٤) مصطفى العبادي، مرجع سابق، ص ١٢٩.
- ٣٥) عبد اللطيف علي، مرجع سابق، ص ٨٦.

- (٣٦) أنظر : مصطفى العبادي مرجع سابق ، ص ص ١٢٠-١٣١ .
- أنظر : عبد اللطيف علي، مرجع سابق ، ص ص ٨٨-٨٩ .
- ٣٧- أنظر : عبد اللطيف علي، مرجع سابق، ص ص ٩١-٩٢ .
- (٣٨) أنظر حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٦ .
- (٣٩) مصطفى العبادي ، مرجع سابق، ص ١٣٩ .
- (٤٠) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ١٤٠ .
- (٤١) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ص ٥٧-٥٨ .
- (٤٢) عبد اللطيف أحمد علي، مرجع سابق، ص ٩٨ .
- (٤٣) أنظر عبد اللطيف علي، مرجع سابق، ص ص ٩٣-٩٤ .
- أنظر محمد عواد حسين ، مرجع سابق، ص ٦٧ .
- (٤٤) عبد اللطيف أحمد علي ، مرجع سابق، ص ٣٨ .
- (٤٥) أنظر : محمد عواد حسين، مرجع سابق، ص ٦٧ .
- (٤٦) أنظر : محمد عواد حسين، الوطنيون والإغريق في مصر البطلمية، مج ٣، ١٥٤ .
- (٤٧) إبراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عهد البطالمة، ص ص ٢٧-٢٨ .
- (٤٨) عبد اللطيف أحمد علي، مرجع سابق، ص ص ٧٢-٧٣ .
- (٤٩) محمد عواد حسين ، مرجع سابق، ص ٧٤ .
- * الآلهة الأولييمبية نسبة إلى جبل أوليمس الذي يقع بين مقدونيا وتساليا وكان الإغريق يعتقدون أن الآلهة وعلى رأسهم كيبيرهم زيوس كانت تسكن فوق قمة هذا الجبل وكان أشهرها بعد زيوس أبولون وأثينا .
- (٥٠) أنظر عبد اللطيف أحمد علي، ص ٨١ .

محتويات البحث

تمهيد :

أولاً : الإسكندر وحلم تكون إمبراطورية تجمع بين العالم الشرقي والغربي

ثانياً : الاتصال الثقافي بين الحضارة اليونانية والمصرية القديمة.

ثالثاً : الإسكندرية كعاصمة وأهم الموانئ في حوض البحر المتوسط.

رابعاً : مظاهر الحياة الاجتماعية وخصائصها خلال حكم البطالمة.

خامساً : الحياة الثقافية وخصائصها خلال حكم البطالمة.

(١) التأثير والتأثر في مجال الثقافة.

(٢) التأثير والتأثر في الفنون والآداب.

(٣) التأثير والتأثر في مجال الحياة الدينية.

سادساً : تأثير الثقافة اليونانية في مظاهر الحياة الاقتصادية بالإسكندرية.

(١) نظام الأراضي.

(٢) أراضي الملك.

(ب) ضياع المعابد.

(ج) الإقطاعات العسكرية.

(د) إقطاعات الموظفين.

(هـ) أراضي الملكية الشخصية.

(٢) الزراعة.

(٣) الصناعة.

(٤) التجارة

(٥) العملة

(٦) الاحتكار.

سابعاً : مظاهر الحياة السياسية وخصائصها خلال حكم البطالة .

(أ) تأسيس المنى.

(ب) التمييز المنصرى.

(١) وضع المصريين في مصر.

(٢) وضع الإغريق في مصر.

خاتمة ونتائج البحث.

صور من مظاهر الحضارة المتشابهة بين مدينتي الإسكندرية ورباط الفتح

يذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أن الخليفة المنصور الموحدى ابتنى بالقرب من مدينة سلا (٥٩٣هـ) «مدينة عظيمة، سماها رباط الفتح على هيئة الإسكندرية في اتساع شوارعها وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه وتحسينه وبنائها على البحر المحيط الذى هناك وهى على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلى...»^(١).

وقد نقل الناصرى السلاوى هذا القول عن ابن خلكان^(٢).

ولم يكن ابن خلكان وحده هو الذى ربط فى الشبيه بين كل من الإسكندرية ورباط الفتح فإن المؤرخ المغربى المعاصر للموحدين، عبد الواحد المراكشى ربط هو الآخر بين المدينتين عندما تكلم فى المعجب أن مسجد رباط الفتح الذى عرف فيما بعد بجامع حسان «كبير المساحة واسع الفناء جدا لا أعلم فى مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له حائذة فى نهاية العلو على هيئة منار الإسكندرية يصعد فيه بغير دزج، تصعد الدواب بالطين والأجر والجص ويجمع ما يحتاج إليه إلى أعلاها، ولم يتم هذا المسجد^(٣) إلى اليوم...».

وإذا ما قمنا بإجراء دراسة حول كل من المدينتين التى ترجع إحداها إلى العصر القديم والأخرى إلى العصر الوسيط فسوف نلاحظ أن ثمة تشابه كبير يربط بينهما فى حقيقة الأمر فى الموقع والتخطيط والبنيان لاسيما صقعة الجامع^(٤). ولعل الأساس الذى قامت عليه مقومات هذا

التشابه هو ما يمكن أن نسميه التماثل في «عبقرية الزمان والمكان» الذي اتسمت به كل منهما. فالإسكندرية قدر لها منذ أن اختار الإسكندر المقدوني موقعها ليبنى عليه عاصمته وحتى يومنا هذا، أن تكون ملتقى للحضارات المختلفة ومنطلق إشعاع حضارى وثقافى، ومركزاً اقتصادياً عالمياً هاما وأيضاً قاعدة استراتيجية بحرية غاية فى الأهمية، وكذلك كان حال مدينة الرباط والتي توفر لموقعها مزايا استراتيجية واقتصادية وحضارية عظيمة الأهمية فموقعها الطبيعي بين استدارة نهر واطلالاتها على المحيط الأطلسى اكسبها تميزاً استراتيجياً. وقد أدرك الرومان قديماً أهمية هذا الموقع فأقاموا فى موضع قصبة^(٥) الودايا قلعة لهم، قام على أنقاضها رباط مرابى لجهاد هراطقة براقوطة^(٦)، استخدمه تاشفين بن عى لقتال المهدي بن تومرت، ثم أعاد بناءه الخليفة عبد المؤمن بن على ليصبح نواة مدينة رباط الفتح التى شرع ولده أبو يعقوب يوسف فى بنائها ثم استكملها من بعده ولده المنصور وقد حدثتنا المصادر العربية عن المكائنتين الاقتصادية والعلمية اللتين امتازت بهما مدينة رباط الفتح منذ إنشائها بين مدن المغرب الإسلامية ولعل ذلك يذكرنا بمقولة لىن صاحب الصلاة الشهيرة عن مدينة رباط الفتح «وكان أهل الأثر يقولون فى ذلك التاريخ سيكون فى هذا الموضع مدينة عظيمة لخليفة عظيم»^(٧)، ونبؤة المهدي بن تومرت التى أوردها عبد الواحد المراكشى من أن رباط الفتح فى التى ستبقى فى أيدي أهل المغرب ثم يفتح الله عليهم منها فى تجميع كلمتهم^(٨).

وفى رأى أن المدن كالبشر، فإذا كان لكل إنسان شخصيته الخاصة

بها الميزة له وكذلك إمكانيات وقدرات ذاتية تجعل شخصا ما يتفوق على غيره، فكذلك شأن المدن فهناك من المدن والبلاد ما يحمل من المقومات الطبيعية والبشرية ما يجعلها تبرز بين غيرها في تفوقها، ومن بين هذه فلمدن التي حملت بجدارة صفة «عبقرية الزمان واثمكان» مدينة بيت المقدس على سبيل المثال، فهي ملتقى الديانات الثلاثة والتي بحكم وقوعها في فلسطين، تقع في قلب منطقة الشرق الأدنى القديم، وهناك مدينتي «القاهرة» و«الإسكندرية» بإعخبارهما مدن مصرية، فمصر حباها الله موقع جغرافي فريد فهي تقع في قلب العالم العربي وفي نفس الوقت في قلب العالم الإسلامي، وكذلك في قلب العالم كله تتحكم في عدد من أهم المجاري المائية العالمية، وكذلك العراق، وعاصمته بغداد، فالعراق له حضارة من أقدم وأعرق الحضارات في التاريخ، والعراق يمثل قديما الجناح الشرقي في منطقة الشرق الأدنى القديم، والبوابة الشرقية للعالم الإسلامي في العصرين الوسيط والحديث، وكذلك كانت بلاد المغرب فهي الجناح الغربي للعالم الإسلامي فإذا كان العراق هو البوابة الشرقية فإن المغرب هو البوابة الغربية لعالم الشرق الأدنى قديما والأمة الإسلامية في العصرين الوسيط والحديث، وكان لمدينة رباط الفتح وضع هام وخاص فهي بإطلالتها على المحيط الأطلسي، تطل على العالم الغربي كله وتعد بمثابة همزة وصل بين هذا العالم، والعالم الإسلامي، وكانت بحكم موقعها في وسط المغرب الأقصى بمثابة قاعدة مركزية لربط أنحاء المغرب بعضه ببعض وكذلك لربطه ببلاد الأندلس.

وسنقوم فى السطور التالية بمحاولات أكثر تفصيلا لتوضيح أهم ملامح الالتقاء والتقارب بين كل من الإسكندرية ورياط الفتح فى المجالات المختلفة. ونلاحظ أن أهم ملامح التقارب تتمثل فى الموقع الجغرافى فكل من الإسكندرية ورياط الفتح تطل على ساحل البحر، الأولى على البحر المتوسط والثانية على البحر المحيط. ولعل الموحدين عندما اختاروا موضع مدينة رباط الفتح لبناء هذه المدينة كانت قد وصلت إلى أسماعهم الشهرة الكبيرة التى كانت تنعم بها مدينة الإسكندرية منذ أقدم العصور فبحثوا عن موضع ساحلى يتميز بخصائص جغرافية واستراتيجية مشابهة. فوجدوا أن موضع الرباط يجمع بين كل المقومات، فهى إلى جانب وقوعها كامتداد لقصبة تاشفين بن على القائمة على رباط المرابطين لقتال برغواطة محل القلعة الرومانية القديمة كما سبق أن ذكرنا، مدينة ساحلية، من الممكن أن تلبى حاجتهم إلى الجهاد البحرى وتحقق الغرض من بنائهم لها لتكون قاعدة للجهاد فى الأندلس أو لمحاربة أعدائهم فى بلاد المغرب، وكذلك مركزا اقتصاديا هذا على النحو الذى كانت عليه مدينة الإسكندرية فى مصر. وقد دفع هذا التحليل الكثير من المؤرخين إلى وصف أبى يوسف يعقوب المتصور بأنه كان يفكر فى بناء مدينة جديدة تخليدا لذكرى انتصار الأرك على غرار الحواضر الإسلامية الكبرى^(٩).

أما بالنسبة لمدينة الإسكندرية فإنها تختلف بعض الشيء من حيث التخطيط من مدينة رباط الفتح. فهى تتكون أساسا من قرية تعرف باسم راکوتيس Rhakotis يحدها من الشمال جزيرة تعرف باسم جزيرة

فأروس كانت بمثابة حاجزاً طبيعياً لها يحميها من أنواء البحر وعواصفه، ويحدها من الجنوب بحيرة مريوط^(١١)، في حين أن مدينة رباط الفتح لم تكن محاطة لا في شمالها بجزيرة ولا في جنوبها ببخيرة، ويرغم ذلك الاختلاف الظاهري في التخطيط والوضع الجغرافي بين المدينتين إلا أن عاملاً جغرافياً آخر هاما للغاية قرب بين المدينتين وهو وجود مجرى مائي في كل منهما، ففي حالة مدينة الإسكندرية، لاحظنا أن بحيرة مريوط كانت تقع جنوب الإسكندرية، وهي بحيرة عذبة كانت مياه النيل تصل إليها عن طريق قنوات تتفرع من ترعة شندينا، وهذه الترعة كانت تخترق مدينة الإسكندرية وتصب في البحر المتوسط، وكانت تحتشد فيها السفن القادمة من جنوب مصر، وبذلك تمكنت المدينة من التزود بمياه النيل. ويذكر المؤرخون أن هذه الترعة كانت تتفرع إلى فرعين عند حجز النواتية يسير أحدهما بمحاذاة الشاطئ إلى كاثوب (أبي قير) بينما يتجه الآخر إلى الإسكندرية^(١٢) وينوز جنوب المدينة ثم يصب في الميناء الغربي المعروف بالصندوق وأن كان بريشيا Breccia يعتقد أن هذا الفرع كان يصب في الميناء الشرقية^(١٣)، أما رباط الفتح فتقع على امتداد الضفة اليسرى لنهر أبي رقرق في مواجهة سلا كما سبق أن أشرنا في بداية البحث، وكان هذا النهر يصب في المحيط الأطلسي مما أتاح الفرصة لبعض السفن الإبحار في النهر والدخول إليه بعكس ما أشار إليه كاييه Caille في كتابه عن الرباط * .

وإذا انتقلنا للحديث عن تشابه المدينتين في التخطيط العمراني، فإننا نلاحظ أن مدينة الإسكندرية أسست وفق تخطيط مسبق لها ولشوارعها

ولاهم مبانيتها شأنها في ذلك شأن سائر المدن يونانية البناء، ومن المعروف أن دينوقراطيس Denokrates مهندس الإسكندر هو الذى وضع أساسها^(١٣)، ولم يتم بناؤها في عهد الإسكندر، وإنما استكملها خليفته بطليموس سوتر، وكانت المدينة تمتد في عصر البطالة من الشرق إلى الغرب بجذء الساحل بحيث تؤلف مركزاً عمراًياً على شكل شريط ساحلى يزيد طوله على عرضه، وتتخلله شبكة من الطرق المستقيمة رصفت بالبازلت الاسود أو الاصفر^(١٤) تتقاطع فيما بينها، سبعة ممتدة طولاً بجذء الساحل، واثنا عشر تقطعها عرضاً من الشمال إلى الجنوب، بحيث كانت تبدو وكأنها رقعة شطرنجية ويرجع الفضل في هذا «التخطيط الشطرنجى» إلى المهندس دينوقراطيس الذى اتبع نفس نظام التخطيط الإغريقى الذى ابتدعه هيبودا موسى الميلىطى وطبق في تخطيط المدن اليونانية منذ القرن الخامس ق.م. مثل هاليكارناسوس وبيرايوس ورودى وكان يخرق المدينة شارعان رئيسيان، لا يقل اتساع الواحد منهما عن ثلاثين متراً الاول يسمى الشارع الكانوبى Canopus لأنه يمتد من الباب الشرقى في اتجاه ضاحية كانوب (أبى قير الحالية) متتبعا طريق الحرية في الوقت الحاضر^(١٥) ثم يمتد من الباب الغربى حتى شاطئ البحر، أما الطريق الثانى فكان يقطع الطريق الكانوبى في وسطه ويتفق في تخطيطه مع خط شارع النبى دانيال الخالى، ويقال أن بطليموس سوتر قام بخدعه ماكره، عندما اتفق سرا مع أحد القادة اليونان لنقل جثمان الإسكندر من بابل حيث توفى إلى سورية، ومنها إلى مصر بدلا من مقدونية حيث كان يجب أن يدفن طبقا لما تم الاتفاق عليه بين قادته وقد قام بطليموس بدفن جثمان قائده الراحل في منف بصفه

مؤقته ثم نقله بعد ذلك إلى الإسكندرية. (١٦) حيث دفن كما هو معروف بين الباحثين في ضريح يقع عند نقطة التقاء الطريقين الرئيسيين السابق ذكرهما والذين كانا يخترقان مدينة الإسكندرية، وعرف هذا الموضع بالسوما أو السوما بمعنى الجسد الحى نسبة إلى جثمان الإسكندر (١٧). وكان بطليموس سوتر يهدف من وراء دفن قائده الإسكندر فى الإسكندرية، اكتساب مكانة روحية كبيرة للمدينة التى ستصبح عاصمته باعتبار أن الاغريق كانوا ينظرون إلى الإسكندر نظرة وإن لم تصل إلى التأييد الكامل فهى لا تبتعد كثيرا عنه، فأصبحت الإسكندرية منذ ذلك الحين مركز الثقل الأول فى العالم المتأغرق (١٨). وقد وضع بطليموس نظاما دقيقا لتزويد مدينة الإسكندرية بمياه الشرب والسقاية. قدمت فى جوف الأرض قنوات لتوصيل هذه المياه من ترعة شيديا إلى صهاريج وخزانات جوفية ما زال بعضها قائما حتى اليوم، فقد لاحظ الجغرافيون والمؤرخون العرب هذا التنظيم الدقيق، وقام بوصفه كل من المسعودى (١٩) وابن جبير (٢٠) واستمر ازدهار الإسكندرية يتزايد فى العصور التالية حتى إذا دخلها العرب عند اقتتاحهم لها سنة ٦٤١هـ، بهتوا لما شاهدوه فيها من حسن العمارة وروعة التخطيط وجليل العمران حتى أن القائد عمرو بن العاص فكر فى بادئ الأمر فى اتخاذها عاصمة لمصر الإسلامية (٢١).

أما من حيث التشابه بين المدينتين فى التخطيط العمرانى فإن تيراس Terrasse يذكر أن رباط الفتح بنيت فى موضع حصين حصانة طبيعية على مرتفع قريب من النهر وفى واجهة البحر، وهذا يذكرنا بموقع الإسكندرية ذى الحصانة الطبيعية حيث تحميها جزيرة فاروس فالموقعان

وإن اختلفا في التفاصيل إلا أنهما اشتركا في «الحصانة الطبيعية». وإذا كانت الإسكندرية قد حظيت بتخطيط مسبق قبل بنائها شأن المدن اليونانية، فإن الرياط قد حظيت أيضا بهذه الميزة.

وتذكر المصادر العربية أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي عهد إلى المهندس البناء عبد الحق بن إبراهيم بن جامع بإتمام بناء قصبة المهدي^(٢٢)، وإن العمران بدأ يمتد حولها فعمرت سريعا بالسكان وأصبحت بذلك نواة لمدينة جديدة هي رياط الفتح. كما تذكر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان المسئول الأول عن تخطيط مدينة رياط الفتح ورسم شوارعها وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي «وكان أبو يعقوب رحمه الله هو الذي اجتطها ورسم حدودها وابتدأ في بنائها فعاقه الموت عن اتمامها...»^(٢٣). ويشير ابن صاحب الصلاة إلى هذه الحقيقة بقوله «وأمر المؤمنين به أمير المؤمنين هذا هو الذي مصرها ومهدا وابتدأ بناء أسوارها من جهة الجوف والغرب...»^(٢٤).

وتعتبر مدينة رياط الفتح على هذا النحو من الأمثلة النادرة للمدن الإسلامية المحدثة التي تميزت بتخطيط مسبق لأسوارها وشوارعها قبل الشروع في بنائها، فالمدن الإسلامية تتفق جميعها فيما بينها سواء في المشرق أو المغرب وسواء أكانت مدنا مفتوحة أو مدنا أسست في عهد الإسلام في مظهرها العمراني العام وتعنى في طريق تكوين شوارعها وتعرضها وتشعب طرقاتها وتوزيع مراكزها العمرانية كما تتفق في أبنيتها عامة باستثناء تفاصيلها الزخرفية بتأثير المناخ أو طبيعة المكان، وتتمثل هذه

الظاهرة في مصر والشام والعراق وبلاد المغرب والأندلس، ويمكن تفسيرها بأن المسجد الجامع الذي لا يختلف كثيراً في نظام بنائه في سائر أنحاء العالم الإسلامي كان يعتبر أساس التنظيم العمراني للمدينة الإسلامية، والذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية وكان تشييد المساجد الجامعة في الإسلام أساس العمران في المدن إسلامية الإنشاء أو المدن المفتوحة التي يراد طبعها بطابع الإسلام، فكان المسلمون منذ فجر الإسلام وفي زمن الفتوحات الكبرى يشيدون المسجد الجامع في المدن المفتوحة رغبة في إسباغها الطابع الإسلامي، لأن المسجد الجامع في الواقع هو الذي يتحكم في كل مراكزها العمرانية، كما كانوا يبدأون ببناء المسجد عند تأسيسهم للمدن الجديدة مثلما حدث عند بناء سعد بن أبي وقاص لمدينة الكوفة سنة ١٧هـ، وبناء عمرو بن العاص للفسطاط سنة ٢١هـ، وبناء عقبة بن نافع لجامع القيروان في القيروان وبناء حسان بن النعمان الغساني لجامع الزيتونة بتونس، وبعد بناء المسجد الجامع الذي سرعان ما تلتف حوله الدور ومختلف الأبنية والأسواق، وتتوزع الطرق بين هذه المرافق جميعها وتشكل شبكة معقدة من الدروب والحارات والأزقة المتعرجة التي تكسب المدينة طابعاً مميزاً لأنها لم يخطط لها تخطيطاً مسبقاً.

أما في حالة رباط الفتح، فإن تخطيطها سبق بناء مسجدها الجامع^(٢٥)، فقد شرع الخليفة أبا يعقوب يوسف في تخطيط المدينة وبناء أسوارها وأبوابها قبل بناء مسجدها الجامع الذي لم يبدأ العمل فيه إلا في عهد الخليفة المنصور كما سبق أن ذكرنا، وبذلك فإن شكل شوارعها جاء

مختلفا عن الشكل التقليدي المعروف للشوارع الضيقة والدروب المتعرجة في المدن الإسلامية، وبدت مدينة رباط الفتح على حد وصف تيراس Terrasse «مدينة توزعت فيها شبكة منتظمة من الطرق القسيحة على غرار تخطيط مدينة الإسكندرية.....»^(٢٦).

وكما حرص البطالمة على تزويد مدينة الإسكندرية بالمياه الصالحة للسقاية وإنشاء الصهاريج والخزانات اللازمة لذلك اهتم خلفاء الموحدين بتزويد رباط الفتح بالسقايات فقد ذكر البيذق أن الخليفة عبد المؤمن بن علي قد مد السقاية من عين غبولة إلى موضع قصبية تاشفين حين أسس قصبية المهديّة^(٢٧)، وكذلك أشار إلى ذلك كل من ابن صاحب الصلاة^(٢٨) وابن أبي زرع^(٢٩)، أما الخليفة أبو يعقوب يوسف فقد لاحظ عند زيارة لرباط الفتح سنة ٥٦٦هـ أن الماء قد أسن وقدجربة فقام بتجديد مشروع والده مضيفا إليه صهريجاً يتجمع فيه الماء^(٣٠). وقد أشار كل من صاحب الاستبصار والحميري إلى وجود عدة سقايات وصهاريج للمياه بموضع رباط الفتح^(٣١).

وإذا كان بطليموس ينقله لجتمان الإسكندر إلى الإسكندرية يهدف إلى إسباغ أهمية روحية للإسكندرية عن غيرها من مدن العالم المتأغرق فإن رباط الفتح حظيت هي الأخرى بمكانة روحية ومعنوية لا تقل بأي حال من الأحوال عن تلك التي حظيت بها مدينة الإسكندرية وأعنى بذلك ارتباطها اسما وفعلا بمفهوم «الجهاد المقدس» وهي نقطة سنعود للحديث عنها بمزيد من التفصيل في الصفحات التالية، ولكن ما نود الآن الإشارة إليه أن هذه المكانة الروحية ترجع أيضا في اعتقادي الشخصي إلى عامل ثانٍ يتمثل في

وفاة أكثر من خليفة موحدى برباط الفتح وحرص عدد آخر منهم على قضاء الأعياد الدينية على وجه الخصوص بها، وقد أوردت على الصفحات السابقة بعض الأمثلة لذلك فى سياق عرضى التاريخى ولعل أهم هؤلاء الخلفاء الموحدين الذين توفوا برباط الفتح، الخليفة عبد المؤمن بن على الذى توفى وفقا لما ذكره كل من صاحب الحلل الموشية^(٢٢) وابن أبى زرع^(٢٣) والغيريشى^(٢٤) ويوجدار^(٢٥) فيها سنة ٥٥٨هـ بل أن ابن عذارى يؤكد أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بايع تولده فيها أيضا^(٢٦).

ويذكر المصادر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن دفن أولا برباط الفتح بعد عودته شهيداً من غزاته بشنترين سنة ٥٨٠هـ، وأن ولده أبا يوسف يعقوب تأسى والده فتلقى بيعته بها دون غيرها من مدن المغرب^(٢٧). ويؤكد ابن الخطيب أن الخليفة محمد الناس الموحدى توفى فى رباط الفتح سنة ٦١٠هـ^(٢٨). ومن هذا المنطلق بدأت مدينة رباط الفتح تكتسب مكانة روحية بحيث أصبحت مرتبطة إلى حد كبير بالقيم الروحية لدى خلفاء الموحدين لذلك كانوا يفضلون قضاء أيام شهر رمضان والأعياد بها، واستمر هذا التقليد متبعاً فى عصر بنى مرين.

واستكمالاً للحديث عن التخطيط والنواحي المعمارية والعمرانية، فلا بد أن نشير إلى منار الإسكندرية ومدى الارتباط بينه وبين صومعة جامع حسان، وأوجه التشابه بينهما والتي نصت عليها بعض المصادر العربية كما سبق أن أشرنا.

يتفق المؤرخون وعلماء الآثار على أن منار الإسكندرية، كان يتألف من طابق رئيسي يتمثل في برج ضخم مربع القاعدة يبلغ ارتفاعه ستين متراً، وتميل جدرانه ميلاً خفيفاً كلما ارتفعت نحو الداخل، ويعلوه طابق ثانٍ مثنى الشكل أقل حجماً يبلغ ارتفاعه ثلاثين متراً. وتتخذ جدرانه نفس الميل إلى الداخل، ويلى ذلك طابق أسطواني الشكل ارتفاعه ١٥٠ متراً ينتهي من أعلى بجوشق قائم على ثماني اعمدة من الجرانيت، ويوجد من أعلى بناء مثلث الشكل يرتقى بأعلاه تمثال ضخم من البرونز يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار يمثل اله البحر بوسيدون^(٣٩) وكان الصعود إلى المنار يتم بواسطة طريق صاعد ميسوط لا درج له^(٤٠) وكان منار الإسكندرية عند بنائه يعد من أعاجيب الدنيا السبعة^(٤١)، وظل المنار يحتل هذه المكانة طوال العصر الوسيط حتى طليعة القرن السابع الهجري عندما بدأ يفقد مكانته تدريجياً بسبب ما تعرض له بنيانه العلوي من تصدع وانهيار بسبب الزلازل المتتالية، لا سيما زلزال سنة ١٨٠ هـ الذي تسبب في هدم طابقتي العلوي وظل المنار على هذه الحال حتى قام أحمد بن طولون (٢٥٤ هـ - ٢٧٠ هـ) بإصلاحه وترميمه فجعل في أعلاه قبة من الخشب لم تلبث أن تهدمت بفعل الرياح^(٤٢). وقد تعرض المنار لزلزال آخر عنيف سنة ٣٤٤ هـ هدم ما يقرب من ثلاثين ذراعاً من أعلاه^(٤٣). واستمر المنار قائماً حتى قام السلطان ركن الدين بيبرس البندقداري ببناء ما تهدم منه أثناء زيارته للإسكندرية سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢م) وأنشأ في أعلاه مسجداً لم يلبث أن تعرض بدوره للهدم عقب زلزال حدث سنة ٧٠٢ هـ^(٤٤) (١٣٠٢م). ويرجع المؤرخون أن تهدم المنار كله حدث فيما بين عامي ٧٢٥ و ٧٥٠ هـ (١٣٢٥، ١٣٤٩م)، وهما العامان

الذان زار فيهما الرحالة ابن بطوطة الإسكندرية، ففي المرة الأولى كان أحد جوانبه وفقا لرواية ابن بطوطة مهديما، وفي المرة الثانية كان الخراب قد استولى على المنار تماما^(٤٥). ولم يبق من المنار في سنة ٧٧٥هـ في زمن النويري السكندري إلا البقعة التي كان يقوم عليها مما أوحى للسلطان قايتباي أن يبني على أنقاضه برجاً جديداً عرف ببرج قايتباي ومن خلال هذا العرض السريع يتبين لنا أن منار الإسكندرية كان لا يزال قائماً عندما شرع الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدى في بناء مدينة رباط الفتح، واستكملها بعد وفاته ولده يعقوب المنصور، وكان طلاب العلم المغاربة وحجاج المغرب القادمين إلى الإسكندرية يشاهدون المنار فيتفألون به ويعتبرون أنفسهم قد وصلوا إلى بر الأمان بعد رحلة بحرية صعبة تعرضوا خلالها لأخطار الغرق بحراً، فأصبح المنار راسخاً في مخيلاتهم ولعل ذلك كان حافزاً على تقليد هذا المنار في صوامع ومآذن المغرب التي كانت تقوم بالإضافة إلى وظيفتها في الأذان بهداية الرحالة والمسافرين براً.

وإذا عدنا إلى ما ذكره كل من ابن خلكان وعبد الواحد المراكشى من التشابه بين صومعة جامع الرباط ومنار الإسكندرية فإن ذلك يعنى أن عرفاء البناء برباط الفتح استوحوا طريقة بناء المنارة من منار الإسكندرية الذي كان لا يزال قائماً في عهد المنصور الموحدى^(٤٦).

وقد أشار الدكتور السيد عبد العزيز سالم في أحد أبحاثه إلى أنه يميل إلى الاعتقاد بأن منار الإسكندرية رغم اختلافه من حيث الوظيفة ومن حيث النسب عن المنارة في الإسلام قد أثر إلى حد كبير في نظام المآذن في

المغرب والأندلس ولاسيما منذنة المسجد الجامع بالقيروان (٥١٠هـ) ومنذنة جامع صفاقس (٣٧٠ / ٩٨١م) والثلاث مآذن الموحدية منذنة جامع الكتبية بمراكش وجامع قصبه الموحدين بإشبيلية ومنذنة جامع حسان^(٤٧) بالرباط. ويذكر الدكتور سالم أن الشكل العام لمنار الإسكندرية كان هو النموذج الذي احتذاه المعماريون في المغرب الأدنى لمئذنتي القيروان وصفاقس، ولكن في حالة المآذن الموحدية بمراكش وإشبيلية وحسان بالرباط، فإن العمارة الداخلية للمنازل كانت هي مصدر الإلهام لعرفاء البناء الذين أسسوا مآذن هذه المساجد الثلاثة^(٤٨). ومما لاشك فيه أن النص الذي أورده عبد الواحد المراكشي بهذا الصدد واضح وصريح وفي غاية الأهمية، ويؤكد بما لا يدع مجالاً للشك في أن صورة منار الإسكندرية كانت لا تزال راسخة في مخيلة الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور وأنه أملى على مهندسيه رغبته في أن تتشابه صومعة جامع الرباط مع منار الإسكندرية أولاً من حيث الضخامة والارتفاع ومن المعروف أن طول كل جانب من قاعدة الصومعة يبلغ ١٦,١٥ متر^(٤٩) وهو يزيد كثيراً عن نظيره في صومعة جامع إشبيلية وصومعة جامع الكتبية بمراكش، أما ارتفاعها اليوم فيبلغ ٤٤ متراً وكان مقدراً لها أن تتجاوز في الارتفاع ٦٠ متراً، وثانياً من حيث النظام الداخلي للبناء حيث يتم الصعود إلى أعلى الطابق الأول عبر طريق مستو صاعد بدون درج أشار إليه عبد الواحد المراكشي عند وصفه لصومعة جامع حسان.

ويصف تيراس Terrasse هذا النمط الداخلي للبناء بقوله عن

الصوامع التوائم الثلاث «وبين الجدار الخارجى السميك والنواة الوسطى لا يوجد نرج وفق النظام الشائع للمآذن، وإنما يرتقى المرء عبر طريق صاعد بدون درجات بحيث يجتاز فى عطفات مؤربة (تتخذ زوايا قائمة) وقد طبق هذا النظام فى صومعة جامع إشبيلية (الجيرالدا) كما طبق فى صومعة جامع حسان بالرباط»^(٩٠).

ولا يقتصر التشابه بين مدينتى الإسكندرية ورباط الفتح على التواحي العمرائية والمعمارية فحسب، وإنما أيضا فى الغرض الذى من أجله أنشئت كلتا المدينتين. ففى حالة مدينة الإسكندرية نلاحظ أن موقعها على ساحل البحر المتوسط أوحى لبانيها بأنها ستشغل دائما مكانة استراتيجية رفيعة، وتتبعوا مركزاً اقتصادياً ساحقاً عبر كل العصور، وكذلك كان الأمر بالنسبة لمدينة رباط الفتح وإن كانت مكانتها الإستراتيجية قد هانت مكانتها الاقتصادية.

فالإسكندرية اتسعت عمرانياً منذ إنشائها بالعظمة والفخامة ذلك لأن بطليموس الأول (سوتر) كان حريصاً على تزويدها بكل ما كانت تحتاج إليه من مقومات هذه الفخامة والاتساع العمرانى، فقد ربط بين جزيرة فاروس وبين المدينة برصيف يبلغ طوله نحو ١٢٥٠ متراً وعرضه نحو ٢٠ متراً، وقدر لهذا الرصيف أن يتسع بمرور الزمن ويصبح حياً هاماً من أحياء المدينة كما أعطى هذا الرصيف للمدينة بعداً استراتيجياً قوياً فى ذات الوقت، فقد قسم ميناء الإسكندرية إلى ميناعين إحداهما شرقية وتعرف بالميناء الكبير Megas Limen والأخرى غربية وتسمى أيونو ستوس أى العود الحميد

Eunostos وعرفت أيضا بميناء السلام، وهي الميناء الحالية^(٥١). وكان هذان الميناءان يتصلان فيما بينهما عن طريق ممرين مصصنين فتحا بالرصيف عند طرفيه الجنوبي والشمالي. كما مد بطليموس من الطرف الشمالي لرأس لوكياس (رأس السلسلة) شريطا صخريا ينحني نحو الغرب وظيفته حماية الميناء الشرقي من عواصف البحر وأنوائه. وهكذا أصبح ميناء الإسكندرية يفوق سائر موانئ البحر المتوسط منعه وحصانه. وكان يحيط بالإسكندرية في العصر البطلمي وطوال العصر الروماني والبيزنطي سور مجرى عظيم مزود بأبراج ضخمة يفوق في امتداده أسوار المدن الإغريقية الأخرى باستثناء أسوار سوقوصة وأثينا^(٥٢). واستمرت هذه الاسوار الحصينة التي اكسبت المدينة منعة وقوة إستراتيجية إلى أن فتحها العرب بعد حصار طويل تظلمته مفاوضات انتهت بتسليم المدينة للمسلمين^(٥٣).

وكان بالإسكندرية في العصر البطلمي دار لصناعة السفن وهي نفس دار الصناعة التي اتخذها عبد الله بن سعد بن أبي السرح بعد تجديدها^(٥٤) لصناعة السفن الإسلامية التي عهد إليه معاوية بن أبي سفيان بصناعتها ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها هي نفسها دار الصناعة القريبة التي كانت تقع عند نهاية المطرق الغربي داخل سور الإسكندرية ويلصق السور، وقد توصل إلى هذا الرأي بعد اكتشافه لأثر له أهميته في القطاع الغربي من الإسكندرية لصق سورها المصائب للباب الأخضر ويتميز هذا الأثر بمدخل على هيئة الصرح المصري القديم، ومن الواضح أنه قد تبقى من مدخل دار الصناعة البطلمية، ويؤدي إلى درج يقضى إلى باب إسلامي

ذى ممر منكسر تعلق مدخله فتحة طويلة ضيقة لعلها كانت مكانا يرتفع إليه المشط الحديدى الذى كان صلاح الدين خليل بن عرام نائب السلطنة بالإسكندرية قد دعم به تحصين هذا الباب سنة ٧٧٧ هـ عقب غارة القبارصة على المدينة سنة ٧٦٧ هـ^(٥٥).

ولعل هذه المكانة الرفيعة التى تبوأتها الإسكندرية والحصانة والمنعة التى اتسمت بها منذ نشأتها هى التى دفعت ولاية الإسكندرية منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر الأموى إلى تحصين سواحلها بالأربطة والنواظير، وكان خوف المسلمين على هذه المدينة من التعرض للاعتداءات البيزنطية البحرية الدافع الرئيسى وراء اعتبارهم لها منذ افتتاحها ثغرا من الثغور الإسلامية التى يقف إليها المرابطة بقصد الرباط وقد نزلت قبائل العرب بالإسكندرية منذ أيام عمرو بن العاص وانتجعوها للرباط والجهاد وقبل أن نستطرد فى الحديث عن وضعية الإسكندرية فى العصر الإسلامى كرباط وثغر للجهاد، نود أن نشير إلى أوجه التشابه فيما ذكرناه بينها وبين رباط الفتح.

إن فقد كانت لكل من المدينتين مكانة إستراتيجية فى التاريخ القديم والوسيط أهلتها لتتبوأ المكانة المتميزة التى ظهرت بها فى العصر الإسلامى، وإذا كنا قد أشرنا إلى تحول مدينة الإسكندرية إلى ثغر ورباط عقب الفتح الإسلامى لمصر مباشرة فإن رباط الفتح منذ أن أسست قصبتها المسماة بالمهدية ومن عبد المؤمن بن على بنيت على هذا الأساس ولهذا الغرض لكى تكون رباطا يقصده الراغبون فى الجهاد. وقد اهتم كل من الخليفة أبى

يعقوب يوسف وأبي يوسف يعقوب المنصور باحاطة مدينة رباط الفتح بأسوار قوية ومنيعة لاتقل في المنعة والحصانة عن أسوار الإسكندرية البطلمية. وفيما يتعلق بصناعة السفن فإن دار صناعة سلا التي كان بابها مسامتا لجامع حسان كانت تقوم بهذه المهمة وكانت الرباط كما أثبتنا في كتابنا عن مدينة رباط الفتح^(٥٦)، ميناء حربية وتجارية هامة طوال العصر الإسلامي.

ونتوقف قليلا للإشارة إلى نظام الرباط والأريطة قبل أن نسترد في الحديث عن المدينتين كريط إسلامية هامة.

المرابطة تعنى ملازمة ثغر العدو وتعنى أيضا المحافظة على أوقات الصلاة طبقا لتفسير الإمام أبي بكر الطرطوشي^(٥٦) للآية الكريمة «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»^(٥٧). ومن ذلك يتبين أن الرباط يعنى المكان الذى يجتمع فيه الفرسان المجاهدون قبل الخروج إلى دار الحرب للجهاد وكان يجتمع فيه أيضا أهل الزهد والتسك والتصوف تقربا لله^(٥٨).

وقد ارتبط الجهاد بالرباط والمرابطة فأصبح من أخص صفاتهما^(٥٩). وقد استقى هذا المفهوم من الآية القرآنية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»^(٦٠).

ويختلف المؤرخون فيما بينهم حول تحديد بداية ظهور الأريطة فى التاريخ الإسلامى، فبينما يرى كل من الدكتور السيد عبد العزيز سالم والدكتور محمد توفيق بليغ والدكتور محمد الأمين بليغ أن الأريطة ظهرت

لأول مرة في المشرق الإسلامي قبل بلاد المغرب وذلك عقب الفتوحات الإسلامية مباشرة لحماية المناطق الساحلية التي كانت في حوزة المسلمين، فساحل الشام كله كان يعتبر رباطاً بعد الفتح إذ تنتهي عنده الحدود الإسلامية وتبدأ الدولة البيزنطية، وتتأثر على تلك الحدود الثغور، وكانت ملازمة هذه الثغور أسمى ما يصل إليه المسلم من تقوي، وكان بناء الربط أو الأريطة وملازمة المسلمين ومرابطتهم فيها يرصع ثغور المشرق في البر والبحر^(١١) وكذلك كان الحال في مصر^(١٢) بعد الفتح الإسلامي حيث اعتبرت الإسكندرية ثغراً ورباطاً فقد أرسل إليها عمرو بن العاص عقب الفتح قبائل العرب لسكنائها وحراستها والمرابطة فيها فنزلت قبيلة لخم في المكان المعروف بكوم الدكة وجذام ببيركة حزام ونزلت كندة بالبراكل، ونزلت الأزدي بحارة الأزدي وحضرموت بشارع الحضارمة بينما نزلت خزاعة والمزاذنة بناحية أبي قير شرقي الإسكندرية، وبدأت تنتشر الأحاديث النبوية في فضل الإسكندرية والرباط فيها لتشجيع المرابطة والمشاغرة ومن هذه الأحاديث حديث عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول «المقيم بالإسكندرية ثلاثة أيام من غير رياء بمنزلة من عبيد الله سبعين سنة ما بين الروم والعرب»^(١٣)، وحديث آخر عن سعد بن أبي وقاص ذكر فيها رسول الله أن الإسكندرية ومستقلان عروستان والإسكندرية أفضلهما ومن رابط بالإسكندرية أربعين يوماً كتب الله له براءة من النار^(١٤)، أما بالنسبة لأريطة المغرب فقد اهتم الدكتور حسن محمود بإبراز دورها في هذه البلاد المغربية دون الإشارة إلى دورها في المشرق الإسلامي، وأوضح أن بداية ظهورها على سواحلها كان لرد الخطر البيزنطي عن الأراضي حديثة العهد بالإسلام،

وأن الربط في المغرب كانت في أوائل الأمر مجرد حصون تقام في المناطق الأكثر تعرضا لغارات العدو، وأشار إلى أن القيروان تعتبر أول رباط كبير يتخذها العرب لصد غارات الروم مفسرا كلمة قيزوان بأنها موضع اجتماع الجيش وقيل محط أثقاله وأشار تأكيدا ودعما لرأيه إلى النص الذي أوزده الدباغ في كتابه معالم الإيمان من أن عقبة بن نافع أراد بينائه القيروان أن تكون محل رباط^(٦٥).

كما أشار الدكتور حسن محمود إلى أن برقة اعتبرت رباطا وأشار إلى مرابطة زهير بن قيس البلوي بها عقب انسحابه من القيروان ثم ما لبثت الأربطة أن تزايدت في عصر دولة الأغالبية وعرفت آنذاك بالقصور والمصالح^(٦٦).

ويذكر الدكتور فرحات الدشراوي بعد أن استعرض الخطر البيزنطي على السواحل العربية الإسلامية عقب الفتوحات الإسلامية للشام ومصر والمغرب أن أقدم رباط في المغرب هو رباط سوسة الذي يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد يزيد بن حاتم المهلبى (١٥٥ - ١٧١هـ) ويليه رباط المنستير الذي يرجع إلى عهد الوالى العباسى مرثمة بن أعين (١٧٩-١٨١هـ)^(٦٧). وقد أشار كل من خايمي أوليفر آسين Jaine Oliver Asin ومانويلا مارين Manuela Marin إلى أن أقدم الأربطة التي ظهرت في العالم الإسلامى هو رباط عبادان الذي أقيم في جزيرة بين ذراعين من دجلة والفرات عند الخليج العربى^(٦٨).

ومن الجدير بالذكر أن الرياط في المغرب الإسلامي عند نشأته، لم يتخذ طابعا عسكريا عدوانيا أو هجوميا حيث لم تنظم حملات عسكرية ضد المسيحيين في تلك المرحلة المبكرة، وإنما كانت مهمته الأساسية الحفاظ على المكاسب الإسلامية والدفاع عنها ضد أي عدوان يقوم بعد العدو^(٦٩).

أما نظام الحياة في الرياط الإسلامي بوجه عام وفي المغرب الإسلامي على وجه الخصوص فقد اتسم بطابع ديني خالص، وإن كان بعض المرابطين يغابرون رباطهم أحيانا لفترات مؤقتة ثم يعودون إليها من جديد، ولكن جرت العادة أن يقضى المرابط عشرين أو ثلاثين عاما في الرياط وربما حياته كلها حتى الوفاة، ولم يكن بقاءه في الرياط راجع إلى ضغط من أحد وإنما كان نابعا من رغبته الشخصية فحسب، وفي كثير من الأحيان كان المرابطون يلتزمون الزهد والتقشف الشديد في الحياة^(٧٠). وقد أدى ذلك إلى ظهور حركة صوفية قوية بدأت في أريطة المشرق الإسلامي في القرن السادس الهجري (١٢م) حولت الرياط إلى مقر ديني أو «ديري» على حد تعبير أحد المستشرقين^(٧١). وقد انتقلت هذه الروح شيئا فشيئا إلى الرياط في المغرب الإسلامي فظهرت طبقة كبيرة من الصالحاء والمريدين والمتصوفة في عهد المرابطين والموحدين^(٧٢) في المغرب لاسيما في المنطقة الغربية التي كانت فيما مضى مجالا لدولة برفواطة المنحرفة^(٧٣) وقد أفرد لهم ابن الزيات التادلي كتابا خاصا مسماه التشوف إلى رجال التصوف^(٧٤) وتشير هناك إلى ازدهار حركة التصوف في الإسكندرية أسوة بما حدث في المغرب الأقصى ولعل أشهر هؤلاء الصوفية عبد الكريم بن عطاء الله السكندري

(ت٦١٢هـ)^(٧٤) ولا عجب أن تزدهر حركة الصوفية في الإسكندرية مثلما ازدهرت في بلاد المغرب، فقد كانت ظاهرة التصوف في القرن السادس الهجري، ظاهرة عامة في العالم الإسلامي كله وكان لزعماء الطرق الصوفية، المكانة المميزة في الدعوة إلى الإسلام، وإعادة المجتمعات الإسلامية إلى الطريق السليم^(٧٥).

وإن تقتصر حركة التصوف في هذا العصر (القرنين السادس والسابع الهجريين) على جماعة من الزهاد والمتصوفة بل عمت كافة الطبقات في المجتمع المغربي. وقد حظى الصالحاء وأهل التصوف بمكانة مرموقة لدى الخليفة أبي يعقوب المنصور الموحدى الذى كان يستقبلهم بحفاوة عظيمة ويجزل عليهم العطاء^(٧٦). مما شجع كل طبقات المسلمين على الانخراط فى المرابطة وأصبح الرباط والجهاد فرض واجب على كل مسلم لا فرق بين قاض وفقه وأديب وتاجر وصانع وفلاح^(٧٧).

ولعل هذا يذكرنا بالإجراء الذى اتخذه يعقوب المنصور لتشجيع التجار والصناع والفلاحين على الوفود إلى رباط الفتح والاستقرار فيها عندما أمر أن يمنح كل ساكن فيها تعويضا علاوة على ما تدر عليه مهنته اجتذايا لفئات مختلفة من الناس للمرابطة فى هذه المدينة، وقد فقدت الأريطة دورها العسكرى إلى حد كبير فى أواخر عصر المرابطين وأصبحت مدرسة أو مؤسسة للتعليم والعبادة بعد ظهور حركة التصوف فى العصر الإسلامى^(٧٨).

وكان وصف الرباط الإسلامى كمؤسسة جهادية وتعليمية دينية، مجالا

لدراسات عديدة لعل أشهرها الدراسة التي قام بها الدكتور محمد توفيق يلبع وتلك التي أصدرها Jaine Olive Asin^(٧٩) وتلك التي قام بها الدكتور محمد الأمين بلغيث ومجموعة الأبحاث القيمة التي ساهم بها الأساتذة مانويل مارين والدكتور فرحات الدشراوي والدكتور جمعة شيخة والدكتور ميكل دي أباتا والدكتور مانويل اسبينار Manuel Espinar Moreno في مؤتمر «الرباط الإسلامي» الذي عقد في قطالونيا ١٩٨٩ بإسبانيا. وقد أشارت بعض هذه الدراسات إلى أن الربط نوعان ربط للرجال، وربط للنساء، أما الرجال فكانت مهماتهم دينية وحربية في حين كانت ربط النساء ذات طبيعة اجتماعية، فهذه الربط النسائية لم تكن تستخدم لجرد التعبد وإنما كانت مجالا لإيواء النساء المطلقات أو الأرامل أي بمثابة ملاجئ لهن مثل ربط البغدادية في القاهرة^(٨٠). ولم يكن وجود المرأة ملحوظا في الفترة الأولى ولكن فيما بعد أصبحت النساء تؤلف جزءا من مجتمع المرابطين^(٨١) لاسيما في رباط صفاقس والمنستير وقصور طرابلس الغرب وفي رباط سلا (رباط الفتح). ويرى د. محمد الأمين بلغيث أن رباط سلا (نواة رباط الفتح) الذي ذكره ابن حوقل وأشار إلى أنه كان يحتوي على أكثر من ١٠٠ ألف إنسان وكان يضم رجالا ونساء أيضا حيث أن ١٠٠ ألف عدد كبير في رأيه، وفي تصوره أن هذا العدد الضخم لم يكن قاصرا على الرجال خاصة وأن ابن حوقل لم يحدد نوع هؤلاء المرابطين وأنه لو أراد أن يعبر عن ذكورتهم لأضاف بعد الرقم كلمة رجلا كتمييز لجنس المرابطين فيه ولكنه عمم التمييز فاختر كلمة «إنسان»^(٨٢).

وعلى هذا النحو كانت كل من الإسكندرية ورياط الفتح دار رباط هامة^(٨٣) وقد قيل في فصل الرباط بالإسكندرية أقوالاً كثيرة وكتبت في ذلك رسائل كثيرة منها على سبيل المثال «رسالة في فضائل الإسكندرية» وهي مخطوطة مجهولة المؤلف اشتملت على فتح الإسكندرية وفضل المراقبة فيها وذكر أسوارها وعدد مساجدها وهي محفوظة في المكتبة التيمورية بالقاهرة^(٨٤) وكتاب «الدرة السنية في تاريخ الإسكندرية». صنفه أبو مظفر منصور بن سليم السكندري (ت ٦٧٣هـ)^(٨٥) ومخطوط «فضائل الإسكندرية» لأبي علي الحسن بن عمر بن أبي اسحاق المعروف بابن الصباغ^(٨٦).

وقد نزل الإسكندرية عدد كبير من الصحابة منهم سرق بن أسيد ويقال أسد الجهني أو الديلمي أو الأنصاري،^(٨٧) وعبد الله بن عمرو بن العاص^(٨٨) وسفيان بن هاني بن جبير أبو سالم الجيشاني الذي توفي بالإسكندرية في إمارة عبد العزيز بن مروان^(٨٩) وعلقمة بن يزيد المرادي القطيفي الذي تولى رابطة الإسكندرية زمن معاوية بن أبي سفيان^(٩٠). كما نزلها من التابعين ثمامة بن شفي الهمداني وزاهر بن معبد بن عبد الله بن هشام^(٩١)، ومن تابعي التابعين سعيد بن يزيد الحيري القتباني الإسكندراني وطلحة بن أبي سعيد الإسكندراني والعلاء بن كثير الإسكندراني^(٩٢) ولم تكن الإسكندرية وحدها في مصر دار رباط فقد انتشرت الحصون والمصالح والأربطة على طول ساحل الإسكندرية مما جعل ابن رسته يصف رباطات الإسكندرية ويسميتها المحارس^(٩٣) ولعل وجود هذه المحارس كان سبباً في تسمية الإسكندرية بالثغر المحروس^(٩٤).

وامتدرت الإسكندرية طوال العصر الإسلامي مركزا بحريا قفاليا متميزا وتعرضت لغارات الصليبيين في أواخر العصر الفاطمي، فقد ناصر أهلها القائد صلاح الدين يوسف بن أيوب ضد شاور الوزير الفاطمي الخائن وحلفائه من الصليبيين ووقف أبناء هذه المدينة المجاهدة وراء صلاح الدين الذي احتسى بها من أعدائه، وحاول شاور أن يفرى أهل الإسكندرية بكافة وسائل الإغراء لخدلاته، ولكن مساعيه باءت بالفشل وقد تعرضت الإسكندرية في أوائل العصر الأيوبي لحملة بحرية قام بها وليم الثاني النورماندى ملك صقلية سنة ٥٦٩هـ، ولكن أهلها تصدوا لهذه الحملة وروا هذا العدوان. وفي عام ٧٦٧ هـ تعرضت الإسكندرية لغزوة قام بها بطرس لوزينان على المدينة، وتعد هذه الحملة القبرصية إحدى الحملات الصليبية المتأخرة.

ونلاحظ أن الإسكندرية وحدها كانت تضم عددا كبيرا من الربط منذ عهد ابن رسته وحتى غزوة القبارصة، مما يؤكد على أهميتها الإستراتيجية . وكان منار الإسكندرية نفسه أحد هذه الأربطة وذلك قبيل بناء قلعة قايتباي على بقعته بعد تدممه^(٩٥) . وترجع أهم الأربطة التي أنشئت بمدينة الإسكندرية ووصلت إلينا أسماؤها في المصادر العربية إلى القرنين السابع والثامن للهجرة. ومن أشهرها رباط الواسطي الذي كان يقع شرقي مسجد ابي العباس المرسي، وكان عبارة عن زاوية صغيرة تقوم في جهتها القبلية قبة صغيرة يتوسطها قبران، الشرقي منهما هو قبر منشئ الرباط الشيخ أطلكين شهاب الدين أبي علي منصور بن الشيخ السعيد الأمين أبي الفتوح

نصر بن الشيخ أبي الفصل الواسطي، المتوفى سنة ٦٧٢^(٩٦) . ومنها رباط سوار الذي كان يقع بظاهر الإسكندرية من الجهة الشمالية الشرقية حيث منطقة الشاطبي حاليا أقام به نزيل الإسكندرية أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي^(٩٧) المتوفى سنة ٦٧٢ هـ. أما رباط الهكاري فقد انشأه محمد بن الأمير زين الدين أبي الفاخر بن عبد الله الهكاري (ت ٦٨٢ هـ) متولى ثغر الإسكندرية زمن السلطان الملوك المنصور قلاوون، ودفن في رباطه بخارج باب رشيد، وقد تولى ابنه حسام الدين ولاية الإسكندرية في سلطنة الأشرف خليل^(٩٨) . ومنها رباط ابن سلام الذي أسسه الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلام خارج باب البحر يشبه جزيرة المنار قبل وقعة القبارصة سنة ٥٦٧ هـ بأكثر من سنة، وقد استشهد فيه أكثر من ثلاثين مجاهدا كانوا بأعلى الرباط عندما داهمهم القبارصة. أما رباط وتربة الأمير طغية فكان يقع في شبه جزيرة المنار بالقرب من رباط ابن سلام وكان يقوم حوله عدد من الأضرحة، ومنها رباط قحباس الإسحاقى الذى عمره الأمير قجماس الإسحاقى نائب سلطنة الإسكندرية فى أيام الأشرف قايتباى خارج باب البحر على شاطئ بحر السلسلة^(٩٩) .

وفيما يتعلق بالمغرب الأقصى، فإن أول عهده بالربط يتمثل في رباط شاكر، وهذا الرباط نال شهرة كبيرة وأصبح مقصدا للأولياء والصوفية^(١٠٠) . أما رباط نكور فقد بنى على ساحل البحر عند مصب نهري نكور ونيس لتحصين هذه المنطقة وحمايتها من الاعتداءات البحرية على مدينة نكور نفسها التى تبعد خمسة أميال إلى الداخل، وقد تم بناؤه سنة ٢٦٢ هـ

(٨٧٧م) على يد سعيد بن صالح. ويذكر الدكتور محمد توفيق بلبع أن غارات النورمانديين على سواحل الأندلس والعدوة وهجومهم على مدينة نكور وتغلبهم على أهلها وإقامتهم بها ثمانية أيام قبل ارتداهم عنها محملين بالغنائم والأسلاب. كان العامل الأساسي وراء بناء رباط نكور^(١٠١)، في حين يرى جورج مارسية، ويميل إلى الأخذ بوجهة نظره الدكتور محمد الامين بلغيث، أن رباط نكور إنما ابتنى هو ورباط شرشال ورباط وهران ورباط سلا (رباط الفتح) للقضاء على دولة برغواطة في تامسنا^(١٠٢).

ومن الأريطة المغربية أيضا رباط قوز الذي أطلق عليه صاحب كتاب الاستبصار اسم «جوز»، ويعد من أشهر الأريطة المغربية، وقد أقيم على ساحل البحر المحيط عند مصب وادي تنسيفت الذي تقع مراكش على أحد روافده، وكان رباطا مخصصا لمجاهدة برغواطة الملحدة، كما كان مركزاً تجارياً هاما تقصده السفن من جميع البلاد وكان البحريون وأصحاب السفن يفضلون أن تكون أحوال البحر في هذه المنطقة عند إبحارهم غير مستقرة حتى يضمنوا سلامتهم وحسن سير الرياح بعكس ما هو شائع ومعروف عن الملاحة البحرية^(١٠٣).

أما رباط الفتح فكانت رباطا تنطلق منه القوات الموحدية منذ أيام الخليفة عبد المؤمن بن علي، ويعد ذلك القوات المرينية للجهاد في الأندلس أو للقتال مع أعدائهم في أنحاء بلاد المغرب المختلفة، بل أن اسمها في حد ذاته يؤكد هذا الدور الذي اضطلعت به وكذلك الخاصية الإستراتيجية الجهادية لهذه المدينة.

واعتقد أن السر وراء اختيار الخليفة الموحدى الرشيد مدينة رباط
الفتح بون غيرها من مدن المغرب لينزل فيها أهل شرق الأندلس الذين
هجروا بلادهم بعد سقوطها فى أيدي الأرجونيين، يرجع إلى الدور الجهادى
الذى تقوم به هذه المدينة وشخصيتها باعتبارها رباطا، فلعله أراد من
الاندلسيين النازحين أن يقيموا فى رباط دائم ليتيح لهم الفرصة للخروج فى
حملات للجهاد ضد الإسبان الذين انتزعوا مدنهم وأخرجوهم من ديارهم
بغير حق، وهذا ما حدث بالفعل فى الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى رباط
الفتح فى القرن ١٧م، وكان هؤلاء الأندلسيين لا يتربدون يوما فى المشاركة
فى الحملات الموجهة ضد النصارى (١٠٤).

كذلك تشابهت كل من المدينتين، الإسكندرية، ورباط الفتح، من حيث
أوضاعهما الاقتصادية، فالإسكندرية اختارها البطالة حاضرة لهم فى مصر
لعبقرية الموقع الذى تشغله، فالبطالة كانوا يفضل هذا الموقع ليتحكمون فى
الطرق التجارية العالمية المختلفة باعتبار أن الإسكندرية كانت ملتقى طرق
التجارة العالمية المختلفة آنذاك، وبالتالي أصبحت الإسكندرية المركز التجارى
الأساسى فى شرقى البحر المتوسط (١٠٥). واستمرت الإسكندرية طوال
العصور القديمة، وفى العصر الإسلامى الوسيط حلقة الاتصال التجارى بين
الشرق والغرب. ولم تفقد مكانتها التجارية فى العصر العباسى على الرغم
من سيطرة بغداد على تجارة العالم الإسلامى وذلك يرجع أساسا إلى
موقعها الرائع على البحر المتوسط، وإلى اتصالها بالنيل عن طريق خليجها،
وأصبحت الإسكندرية الوسيط التجارى بين الشرقى الأقصى مصدر التوابل

والكارم عصب التجارة العالمية في العصور الوسطى وبين الغرب الإسلامي والأوروبي (١٠٦) .

وبلغت الإسكندرية في عصر الدولة الأيوبية المعاصرة لدولة الموحدين في المغرب، وفي الوقت الذي استكملت مدينة رباط الفتح تأسيسها، أوج نشاطها التجاري فكانت سوقا هائلة للتجارة العالمية ولها كانت تتدفق معظم منتجات الشرق من طيب وبقاقيت وعود وتوابل مما أذهل بعض الرحالة الأوروبيين أمثال بنيامين التطيلي وبيروارد الذي زار مصر سفيرا للإمبراطور فريدريك برباروسة سنة ١١٧٥ (١٠٧) رغم الحروب المتواصلة التي خاضتها مصر ضد الصليبيين.

وتج عن ازدهار التجارة في الإسكندرية أن كثر بها عدد تجار الأفرنج، وقد اجتمع بالإسكندرية زمن الملك العادل وحده نحو ثلاثة آلاف تاجر اجنبي (١٠٨) كما أقامت الجمهوريات الإيطالية لها فنادق بالإسكندرية (١٠٩) .

ولسنا بصدد الدخول في تفاصيل حول الازدهار الاقتصادي لمدينة الإسكندرية في العصور الإسلامية لأن ذلك كان مجالا لدراسات قيمة (١١٠) ، وإنما قصدنا من غرضنا هذا الإشارة إلى التشابه الكبير بين ما بلغته الإسكندرية من تائق اقتصادي واضح المعالم وما بلغته مدينة رباط الفتح من ازدهار اقتصادي سبق أن أشرنا إليه فوفقا لما ذكره كل من ابن صاحب الصلاة وصاحب كتاب الاستبصار زخرت المدينة بالأسواق وأقيمت فيها قيسارية وعدة فنادق مما يعبر على نشاط واسع النطاق للحركة التجارية.

ولعل العثور على عملات أجنبية في رباط الفتح زمن الخليفة الناصر الموحدى يؤكد هذا الازدهار التجارى.

ونختتم دراستنا عن أوجه التشابه بين الإسكندرية ورباط الفتح بالتطرق إلى نقطة هامة أخيرة تتعلق بعلاقة كل من المدينتين بالأندلسيين المهاجرين من بلادهم، إما قبل سقوط مدنهم أو عقب سقوطها في أيدي الإسبان مباشرة أو بعد الطرد الأخير.

هنا كانت مدينة رباط الفتح عرفت في التاريخ بأنها مدينة أندلسية خاصة بعد صدور ظهير الخليفة الرشيد الموحدى الذى سبق أن تحدثنا عنه بشئ من التفصيل فى القسم التاريخى من هذا البحث، وهو الظهير الذى بمقتضاه وهبت المدينة لأهالى شرق الأندلس المهاجرين بعد سقوط بلادهم فى أيدي الأرجونيين بحيث أصبحت منذ ذلك التاريخ منزلا لمهاجرى الأندلس الذين آثروا الوطن فيها باعتبارها رباطا ومنطلقا يجاهدون منه العدو الذى استولى على بلادهم، فإن الإسكندرية بدورها كانت طوال العصور الإسلامية وثيقة الصلة بالأندلس شأنها فى ذلك شأن مدينة رباط الفتح، وكان ارتباطها بالأندلس متعدد الجوانب فكان ارتباطا اجتماعيا وعلميا واقتصاديا مما دفع العديد من المؤرخين إلى الاعتقاد أن بحر الإسكندرية ينتهى^(١١١) عند المحيط الاطلسى، وفيها استقر عدد من الأندلسيين الذين آثروا الاستقرار فى أرضها بعد سقوط مدنهم فى أيدي الإسبان المسيحيين، وفيها استقر عدد كبير من العلماء أمثال الشاطبى وأبى العباس المرسى والطرطوشى، وكان العامل الدينى أيضا أحد الأسباب التى أدت إلى تعميق الصلة بين

الإسكندرية وبين المغرب الإسلامي، فقد كان حجاج المغرب والأندلس يؤثرون الرحلة إلى الإسكندرية ومنها يرحلون إلى مكة سواء عن طريق وادي العلاقي وعيذاب أو عن طريق سيناء وعدت لذلك باب المغرب، ولا ينبغي أن تغفل العامل العلمي فقد كان طلب العلم ببلاد المشرق الإسلامي هدفا رئيسيا لأهل المغرب والأندلس فكان طلاب العلم يتجشمون أخطار الرحلة ومتاعبها للالتقاء بشيوخ المشرق الإسلامي في الإسكندرية والقاهرة والفسطاط وقوص وبغداد والكوفة ودمشق وحلب ومكة والمدينة خاصة مع امتزاج مفهوم التجارة بالعلم في الإسلام (١١٢) .

ومن أشهر من زار مصر من علماء الأندلس ونزل بالإسكندرية واستقر بها محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي الوادياشي الأندلسي الذي درس على عبد الرحمن بن مخلوف بها كما جال في البلاد المشرقية وتوفي سنة ٧٤٩ هـ (١١٣) . وعلى بن أحمد بن حديدة الأندلسي الذي ولد في حدود سنة ٦٦٥ هـ وعاش بالإسكندرية وعمر بها عدة زوايا وتوفي ببيت المقدس سنة ٧١٩ هـ (١١٤) .

ومن العلماء الأندلسيين الذين زاروا الإسكندرية بعد سقوط مدنهم إبراهيم بن عبد الملك بن إبراهيم الجزامي اليرانتيشي نسبة إلى حصن برنتيش من غرب الأندلس من أعمال اشبونة التي سقطت سنة ٥٤٢ هـ. وقد استقر هذا الأندلسي بالقاهرة ووصفه السخاوي بأنه تاجر السلطان ثم انتقل للمعيشة في الإسكندرية وبها توفي في أول شعبان سنة ٨٨٠ هـ وكان من أصحاب الأشرف قايتباي. وقد أوصى قبيل وفاته بمعظم تركته لأهله

الذين كانوا لا يزالوا يعيشون في برنتيش بالإشبونة في ظل الحكم البرتغالي، وبعد وفاته وفد إلى مصر قريب له يكنى بأبي الفضل بن أبي عبد الله محمد البرنتيشي، وهو ابن عم والده، سعياً إلى الظفر بميراث قريبه، وقد استقر في متجربها إلى أن توفي بالإسكندرية في سنة ٨٩٢هـ (١١٥). غير أن مدينة رياط الفتح فاقت الإسكندرية في اجتذاب أعدادا لا حصر لها من مهاجري الأندلس. لا سيما في العصر الحديث عقب الطرد الأخير للموريسكيين، فهجرات الموريسكيين إلى الإسكندرية كانت محدودة إذا ما قورنت بما حدث في حالة رياط الفتح وفاس ومدن تونسية مثل تستور وزغوان وتونس نفسها وكذلك الجزائر الحالية، ويرجع ذلك في تصوّر إلى العامل الذي سبق أن أشرت إليه وهو كون مدينة رياط الفتح رياطاً للجهاد، مما يناسب وضع هؤلاء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ويلتئم نفسيتهم ويسهل لهم الانتقام بالجهاد ضد التصاري، وكذلك بحكم كون رياط الفتح ويقى مدن المغرب الأقصى والأوسط، والأدنى أقرب إلى بلاد الأندلس من مصر.

ونود أن تنهى هذا البحث بأنه إذا كانت الإسكندرية قد حظيت في العصور القديمة بشهرة تجاوزت الأفاق بفضل منارها الذي يعد من عجائب الدنيا السبع فإن مدينة رياط الفتح على حد قول المؤرخ بوجندار كانت في حد ذاتها من الأعاجيب ويعبر عن ذلك بقوله «إن بناء الرياط هو من الأعاجيب التي أجزاها الله تعالى على يد هذا السلطان الأعظم الدالة على اتساع دائرة فكرته إذ قلما توجد مدينة على تلك الصفة إلا مواضعها رجل عظيم حكيم وقد أودع من بدائع الصنائع لديه» (١١٦).

الحواشي

- ١- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، طبعة بيروت، ج ٧، ص ٩.
- ٢- الناصري السلوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء ١٩٥٤ ج ٢، ص ١٨١ - وارجع كذلك إلى محمد بن علي دنية، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، الرباط، ١٩٨٦، ص ٤٢.
- ٣- عبد الواحد المراكشي، العجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢٦٦.
- ٤- يذكر بعض المؤرخين ومنهم الدكتور محمد الأمين بلغيث أن الخليفة المنصور الموحدى أراد بينائه جامع حسان على غرار منار الإسكندرية واتمامه بناء المدينة على نفس نسق المدينة المصرية، منافسة مدينة الإسكندرية (محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامى ونورها فى عصرى المرابطين والموحدين رسالة ماجستير، إشراف عبد الحميد حاجيات، الجزائر، معهد التاريخ، ١٩٨٧، ص ٣١٧).
- ٥- قصبة الودايا فى موضع القصبة الأولى التى بناها الخليفة الموحدى عبد المؤمن به على أنقاض رباط تاشفين بن على.
- ٦- عن برغواطة ارجع إلى سحر سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب الإسلامى، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ١ - ١٠٠.
- ٧- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق د. عبد

الهادي التازي، بيروت، ١٩٦٤، ص ٤٤٧.

٨- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ٣٥٩.

٩- Henri Terrasse, L'Art Hispano-Mauresque Des Origines au XIIIe Siecle, Paris, P. 288.

وإن كانت الباحثة جانيت أبو لغد لا ترى أي تشابه بين المدينتين وتعتبر أن ما ذكره المؤرخون عن أوجه هذا الشبه إنما هو من قبيل الدعاية لمدينة رباط الفتح لتكثيّر الانظار عليها وعلى ما أقام بها المنصور الموحدى عندما اهتم بينائها (Jante Abo Lughod, Rabats, Urban, Apartheid in Morocco, New Jersey, p: 56 - 57).

وفي تصوري أن ما أورده الباحث أبو لغد مبالغ فيه، ومجاف للحقيقة التاريخية فما جدوى ما ينكره ابن خلكان وهو مؤرخ مشرقى من تسليط الأضواء على مدينة رباط الفتح وتشبيهها بمدينة الإسكندرية اللهم إلا إذا كانت هناك أوجه تشابه بين المدينتين، وهذا ما سنحاول إبرازه وتوضيحه على الصفحات التالية.

١٠- زكى على، الإسكندرية، تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها في عصر البطالمة، مجلة كلية الآداب، الإسكندرية، ١٩٤٤، المجلد الثاني: ص ١٢١ - ١٢٢. محمد عواد حسين، مقال عن تخطيط المدينة في كتاب محافظة الإسكندرية، ص ١٢. السيد عبد العزيز سالم، تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي، بيروت، ١٩٦٣، ص ٣٩. السيد عبد العزيز

سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ١٣. مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، الإسكندرية، ص ٢٠.

١١- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ١٢.

Breccia, Alexandria ad Egyptum , Bergamo, 1922, -١٢
P. 78.

Jacques Caillé , La Ville De Rabat, Paris, 1945, vol I, (*)
p. 45.

١٣- لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ مصر، عصر البطالة
الإسكندرية، ١٩٦٧، ص ٢٦٤.

Breccia, Alexandria, p. 72. -١٤

السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢١.

Breccia, Alexandria, p. 74. -١٥

١٦- عن دفن الإسكندر ارجع إلى لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ
مصر، عصر البطالة، ص ١٢٠. وهناك رأى أخذ به بل عن دفنه في واحة
سيوة Bell, Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest , p. 32.

وقد تردد هذا الرأي من جديد بعد اكتشاف مقبرة مقنونة كبيرة في واحة

سيوة، رجحت رئيسة البعثة الأثرية اليونانية التي اكتشفتها أنها للإسكندر أو مقبرة وهمية له. ولا زال البحث جارياً لحسم هذه القضية، وإن كان أغلبية العلماء يرجحون نفيه بالإسكندرية.

١٧- لطفى عيد الوهاب، عصر البطالمة، ص ١٢٢ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢٢.

١٨- لطفى عبد الوهاب، نفسه، ص ١٢١ ، ١٢٢.

١٩- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ، القاهرة، ١٩٥٨، تحقيق محى الدين عبد الحميد، ج١، ص ٢٧٣.

٢٠- ابن حبير، رحلة ابن حبير، تحقيق وليم رايت، لندن، ١٩٠٧، ص ٤١.

٢١- رفض الخليفة عمر بن الخطاب أن يتخذ قائده عمرو بن العاص الإسكندرية عاصمة لمصر فى العصر الإسلامى لعدة اعتبارات منها أن الإسكندرية مدينة ساحلية والعرب كانوا لا يزالوا يعد حديثى عهد بالانفاج عن السواحل الإسلامىة بوسائل بحرىة كاستخدام السفن الحرىة فى محاربة أساطيل الروم، وحرصاً منه على القرب من المصرىين الذين أحسنوا استقبال العرب الفاتحين، فلو اتخذ العرب الإسكندرية عاصمة لهم وهى التى كان ينظر إليها أبناء مصر على أنها عاصمة احتلال أجنبى، لاعتبر المصرىون العرب حلقة جديدة من حلقات الاحتلال الأجنبى، وكذلك لاعتبار إدارى حيث إن الإسكندرية بعيدة عن الصعيد، فى حين أن موقع مدينة القسطنطية الترى أسسها عمرو بن العاص واتخذها حاضرة لمصر يتيح لها أن تكون فى قلب

مصر فهي أفضل إداريا من الإسكندرية المتطرفة (لزيد من الأسباب عن عدول العرب من اتخاذ الإسكندرية عاصمة لمصر الإسلامية، ارجع إلى السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٥٨ وما يليها).

٢٢- البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ١٢٢.

٢٣- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٦٦.

٢٤- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٩.

٢٥- تتشابه كل من مدينتي القاهرة والمهدية مع رباط الفتح في ذلك.

٢٦- Terrasse, L'Art, p. 288, 289.

٢٧- البيهقي، أخبار المهدي، ص ١٢٢.

٢٨- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٦.

٢٩- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق تورنبرج، أويسالة، ١٨٤٢، ص ١٢٥.

٣٠- راجع ما فكره ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٦ - وما يليها.

٣١- الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول الإسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٤٠ - الحميري، الروض المغطار، ص ٢١٩.

٣٢- الحلل الموشية، ص ١٥٧.

٣٣- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٢١.

- ٣٤- الفبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بينجاية تحقيق عادل تويهض، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٨.
- ٣٥- محمد بوجندار، الاغتباط بتراجم اعلام الرباط، تحقيق، د. عبد الكريم كريم، الرباط، ١٩٨٧، ص ٣٩٧.
- ٣٦- ابن عذارى، البيان المغرب، القسم الخاص بالموحدين، ص ١٦٥.
- ٣٧- المصدر السابق، ص ١٧٢.
- ٣٨- ابن الخطيب، رقم الحلل، ص ٢٠٢، ٢٠٣.
- ٣٩- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ١٠١ وما يليها - السيد عبد العزيز سالم بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار بحث بعنوان «تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس» بيروت، ١٩٩٢، ج٢ ص ٤١٩. ولزيد من التفاصيل عن الأوصاف العديدة التي وصلتنا عن هذا المنار ارجع إلى (اليعقوبي، كتاب البلدان، الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية، ليدن، ١٨٩١، ص ٣٢٨ - ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، الجزء الخامس من المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٨٥، ص ٨٢ - المسعودي، مروج الذهب ج١، ص ٢٧٥ - ابن حوقل، صورة الأرض، تحقيق كراموز، ليدن ١٩٣٢ - ياقوت، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٥ - ج١، ص ٤١ - ابن جبير، رحلة ابن جبير، تحقيق وليم رايت، ليدن، ١٩٠٧، ص ٤١ - رحلة بنيامين التطيلي، مدريد، ١٩١٨، ص ١١٣ - الهروي الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جاتين سورديل، دمشق

١٩٥٢، ص ٤٨ - ٤٩ - الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ٩٦ -
المقرئى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، ١٩٥٩، ج١ ص
١٥٥ - بيلر، فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، القاهرة،
١٩٢٢، ص ٢٤٥.

٤٠- المسعودى، التتبيه والإشراف، بيروت، ١٩٦٥، ص ٤٧، للمقرئى، الخطط،
١، ص ٢٩٢٧٧ ج

٤١- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢٦، السيد عبد العزيز
سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامى فى مجال الفنون
والعمارة والزخرفة من أبحاث كتاب «بحوث فى التاريخ والحضارة والآثار»
ج٢، ص ٤٢٢.

٤٢- المقرئى، الخطط ج١، ص ١٥٧ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ
الإسكندرية، ص ٢٦.

٤٢- المسعودى، التتبيه والإشراف، ص ٤٨.

٤٤- السيوطى، حصن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة، طبعة مصر ١٣٢١هـ
ج١، ص ١٧٨ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢٧.

٤٥- رحلة ابن بطوطة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٤٠.

٤٦- وهذا الموضوع يتعلق بمناقشة قضية لم تحسم بعد بين علماء الآثار، وهى
قضية التشابه العام بين شكل المئذنة الإسلامية وشكل المنار السكندرية مما
دفع العالم تيرش Thiersch إلى الإلقاء بنظريته التى أرجع فيها أصل

نظام المئذنة إلى منار الإسكندرية، وقد تبعه في ذلك العالم الإسباني فيليث
أرتانديت خيمينث (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى :

Felix Hernandez Gimenez, el minar de Abd-Rahman
III en la Mezquita Mayor De Cordoba, Genesis y Re-
percusiones , Granada , 1975, p. 46, 133.

وقد عرض لهذه الآراء الدكتور السيد عبد العزيز سالم في بحثه عن تأثير
منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس، ص ٤٢٦، وما
يليه ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ كريزويل اعترض على نظرية تيرش
ورفض الأخذ بها وانتهى إلى القول بأن أصل نظام المآذن يتمثل في
الصوامع المسيحية التي كانت قائمة في سوريا قبل الفتح الإسلامي
Creswell, The evolution of the minaret, Burlington
Magazine, Mars, Mai, Juin, 1926, p. 9.

وقد أيد هيف من علماء الآثار العرب رأي كريزويل وعلى رأسهم الدكتور
أحمد فكري (المسجد الجامع بالقيروان، القاهرة، ١٩٣٦، ص ١١١،
هامش ٢) والدكتور السيد عبد العزيز سالم، المآذن المصرية، القاهرة، ١٩٥٩
ص ٨، والدكتور صالح بن قرية، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور
الوسطى، ص ٦٩ حيث اعتبروا الأبراج السورية المصدر الذي استهلكت منه
المئذنة الإسلامية بوجه عام نظامها المعماري. أما الدكتور سعد زغلول عبد
الحميد فقد ذهب إلى أن المنار كان له تأثير على بناء أبراج الكنائس في
مصر والشام، وأن هذه الأبراج أوحى إلى المسلمين بناء مآذن المساجد

سعد زعلول عبد الحميد، الإسكندرية منذ الفتح الإسلامي الى بداية العصر الفاطمي، من كتاب تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور الإسكندرية، ١٩٦٣، ص ٢٣٦). وعاد الدكتور عبد العزيز سالم إلى ترجيح تأثير منار الإسكندرية على بعض مآذن المغرب والأندلس، وسجل ذلك في دراسته القيمة بعنوان تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس.

٤٧- السيد عبد العزيز سالم، تأثير منار الإسكندرية، ص ٤٢٢، وما يليها.

٤٨- المرجع السابق، ص ٤٢٥.

٤٩- Felix, Hernandez, op. cit., p. 113 ويجعلها تيراس ١٦ متراً (Terrasse, L'Art Hispano, p. 321).

Ibid, p. 172. -٥٠-

٥١- هنري رياض وآخرون، دليل آثار الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٦٥، ص ١٢ زكى على، الإسكندرية، تسميتها وبعض مظاهر الحضارة فيها في عصر البطالة، مقالة بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الثاني ١٩٤٤، ص ١٦٠- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ص ٢٠.

٥٢- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٢٥.

٥٣- المقرئ، الخطط، ج١، ص ١٦٥.

٥٤- سيدة كاشف، مصر في عصر الولاة منذ الفتح العربي إلى قيام النولة الطولونية، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٥٦.

٥٥- السيد عبد العزيز سالم، حول الكشف عن مدخل دار الصناعة الغربية
بالإسكندرية بحث ألقى في ندوة عن Europe and Egypt
Co-operation in Archeology Symposium, 7 - 8
December, 1994.

٥٦- الطرطوشي، سراج الملوك، القاهرة، ١٢٨٩هـ، ص ٩٧ - حسن أحمد
محمود ، قيام دولة المرابطين، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٢٨. محمد توفيق بليغ،
نشأة الرباط وتطوره وأهمية نظام المراقبة في تاريخ المسلمين من مطبوعات
جمعية الآثار بالإسكندرية، ١٩٦٨، ص ٢٧، ٢٨.

٥٧- آية ١٩٩ من سورة آل عمران.

٥٨- Manuela Marin, El Ribat en Al-Andalusy el Norte
De Africa,

وهو أحد الأبحاث التي ألقى في ندوة.

La Ràpita Islàmic : Historia Institucional i altres
Estudis Regionals, 1 Congrés de la Rapitas de l'Estat
Espanyol, 7 -10 Setermbre 1989, Sant Carles de la
Rapita, Tarragona, Catalunya, Espanya, 1989, p. 122.

٥٩- حسن محمود، قيام دولة المرابطين ، ص ١٢٨ - السيد عبد العزيز سالم
Manuela Marin, op. cit., p. 127. - ٩١ -
ويذكر الإسكندرية، ميكل دي ابالثا «أن المسلمين الذين رسخت في نفوسهم

الأهمية التي يوليها الإسلام للجهاد وما ينجم عنه من وعود بالجزاء بوصفه مسعى جماعيا للخلاص، كما تؤكد ذلك آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية، يشعرون بثور من الإحباط بسبب عدم استطاعتهم إتمام جميع ما يسعون إلى تحقيقه من الواجبات الإسلامية عن طريق الجهاد، لذا مارس المسلمون الرابطة باعتبارها نشاطا معوضا لعدم إمكانية قيامهم بالجهاد...».

(ميكل دي أباتا، الرباط والرابطات في الأسماء والآثار الإسيانية، تعريب الصبيح اليعقوبي، مجلة دراسات أندلسية، عدد ١٣، شباط ١٤١٥هـ/ بما نفي ١٩٩٥، ص ٧٩).

٦٠- آية ٦٠ من سورة الأنفال، كما أورد الدكتور محمد توفيق بلبع بعض الأحاديث النبوية عن رسول الله (ﷺ) تشيد بأهمية الخيل وقضائل الجهاد والرابطة (لمزيد من التفاصيل أرجع إلى محمد توفيق بلبع، المرجع السابق، ص ٢٩).

٦١- محمد توفيق بلبع، نفسه، ٢٧، ٢٨، ٢٩ - محمد الأمين بلقيث، الربط بالمقرب الإسلامي ودورها في عصرى المرابطين والموحدين، ص ٣٦.

٦٢- عرفت الرابطة في مصر الإسلامية باسم «المواجيز» وقد انتشرت على طول الساحل من العريش حتى الصويف الليبية وقد أشار الكندي في كتاب الولاة والقضاة ص ٤١٨، ٤١٩ إلى هذه المواجيز (بلبع، ص ٢٤).

٦٣- ابن الصباغ، فضائل الإسكندرية، نسخة مصورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، محفوظة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية رقم

٧٧٩م، ص ٤ ب ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، طبعة بولاق،
١٣٠٩هـ ج ٥ ص ١١٦.

٦٤- ابن الصباغ، نفس المصدر، ص ٤ ب، ٥ أ. ولزيد من هذه الأحاديث، ارجع
إلى السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٢ وما يليها.

٦٥- حسن محمود، قيام نولة المرابطين، ص ١٢٩.

ويتفق كل من الدكتور محمد توفيق بليغ والدكتور محمد الأمين بلفيخ مع
الدكتور حسن محمود في أن فجر الربط والمرابطة في بلاد المغرب هي
قصور طرابلس والقيروان التي كانت نقطة ارتكاز سارت منها الفتوحات
الإسلامية (محمد توفيق بليغ، نشأة الرباط، ص ٤٤ - بلفيخ، الربط بالمغرب
الإسلامي ص ٩٩).

٦٦- حسن محمود، قيام نولة المرابطين، ص ١٢٩ وما يليها.

٦٧- Ferhat Dachraoui, le Rôle des Ribats dans le Gihad
Maritime en Ifriqya au Moyen âge, p. 179.

من ابحاث ندوة. Sant Carles De la Rapita, 1989.

ويتفق الدكتور السيد عبد العزيز سالم مع الدكتور الدشراوي في أن أول
رباط أغلبى هو رباط سوسة (سالم، المغرب الكبير، بيروت، ١٩٨١، ٤٤٩)
ولزيد من التفاصيل عن رباطى سوسة والمنستير وتخطيطهما الداخلى ارجع
إلى (بليغ نشأة الرباط - ص ٤٤ - ٥١ - والدكتور السيد عبد العزيز سالم
المرجع السابق، ص ٤٤٩ وما يليها).

٦٨- Jaine Oliver Asin, Drigen Arabe De Rebato Arrobdya
ysus Homonimes, Madrid, 1928, p. 19 - Manuela
Marin , Op.cit., p.122. Manuela Marin, Ibid., p. 122.

٦٩- وقد ركزت مانويلا مارين في بحثها على الأريطة في تونس وعلى الأخص
رياطى سوسة والمنستير، وإن كانت أشارت في بعض مواضع من بحثها عن
الرباط في الأندلس ولم تشر إلى الأريطة في المغرب الأقصى.

٧٠- Manuela, Marin, op.cit., p. 122- 123.

٧١- Jaine Oliver Asin, Drigen, Arabe, p. 17.

٧٢- راجع البحث القيم للدكتور جمعة شيخة عن الرباط في كتب الطبقات

Jenae Cheikha les Ribâts d'après le livres de Tabaqât
sant carles de la Rapid, 1984 - 1993.

أحد أبحاث مؤتمر الرباط الإسلامي من ٧ - ١٠ سبتمبر ١٩٨٩ - يطلونية -
اسبانيا.

* سحر عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب الإسلامي
الإسكندرية، ١٩٩٢، ص ٨٠ وما يليها - وكان المغرب الأقصى قبل ظهور
المرابطين تتقاسمه أربعة قوى هي غمارة في الشمال وقبائل برغواطة في
المغرب وزناتة تكون نطاقا حول هذه القبائل بعد سقوط الأدارسة، ثم طوائف
الشيعة الرافضة والوثنيين في الجنوب بتارود أنت عاصمة السوس الأقصى
(محمد الأمين بلفيث ، الربط بالمغرب الاسلامي، ص ١٤٣).

٧٣- هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي، عرف بابن الزيات ويعتبر كتابه التشوف من أهم الكتب التي تدرس الحياة الدينية والتصوف في عهد المرابطين والموحدين (انظر التادلي الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، نشر وتصحيح ادولف فورر، مطبوعات أفريقيا الشمالية الرباط، ١٩٥٨، ص ١).

٧٤- السيوطي، ج١، ص ٢١٥ - محمد توفيق بليغ، نشأة الرباط، ص ٤٢.

٧٥- محمد الأمين بلغيث، الرباط، ص ٢٢٦.

٧٦- المرجع السابق، ص ٢٢٧.

٧٧- نفسه، ص ٢٢٨.

٧٨- نفسه، ص ٢٢٩.

٧٩- يقول خاييس أوليفر آسين إن هذه الأريطة أو الحصون كانت تتكون عادة من فناء مركزي مع غرف للخلاوة والتعبد محيطة بها، ومسجد أو بيت للصلاة وإقامة الخطب والمواعظ الدينية وبرج مرتفع أو منار للاتصال مع المناطق البعيدة وإرسال إشارات إلى المراكز المعائلة على طول الساحل، كما يذكر أنها من الممكن أن تتخذ كنور لصناعة السفن وإعدادها للقتال البحري مثلما كان الحال في رباط سوسة. ويرجع خاييس أوليفر آسين أن المسلمين استخدموا في كثير من الأحيان القرى أو المباني البيزنطية السابقة كإريطة (وارجع كذلك إلى محمد توفيق بليغ، نشأة الرباط، ص ٣٠). وكان إنشاء الأريطة يعتبر من أعمال البر. وقد شارك الخلفاء والناس من مختلف الطبقات في أعمال ترميم وصيانة الأريطة، وكانت الأريطة تتلقى المعونات

السخية من كل طبقات وفئات المسلمين، ووجدت في كثير من الأحيان ببعض الأربطة شواهد وأضرحة لشخصيات إسلامية هامة فتحوّلت حينذاك إلى زوايا حيث يعيش هؤلاء المرابطون حول قبر أحد الأبطال المسلمين أو الصحافة وفي بعض هذه الزوايا كانت توجد قاعة تستخدم كمسجد، وقاعة ثانية لتدريس العلوم الدينية، وثالثة تتخذ كمدرسة أولية، ورابعة ليجلس فيها الطلاب لحفظ وإتقان دروسهم كما كانت توجد غرفة لاستقبال المسافرين الذين لا عائل لهم، كما كانت توجد مقبرة للأشخاص المتدينين وخان أو فندق يقيم فيه النزيل بالمجان.

Jaine Oliver Asin, Origen Arabe De Rebato,p.16-18.

وكان الدكتور محمد توفيق بليغ قد ذكر أنه لم تصل إلينا صورة واضحة لما كان عليه شكل الرباط وتخطيطه بالشرق بعكس ما هو عليه الحال بالنسبة لأربطة المغرب، ولكنه استخلص من روايات المؤرخين عن وظيفة الأربطة ومعيشة أهلها أن الرباط أقيم غالباً على مساحة مربعة أو مستطيلة الشكل، وكانت تتكون من صحن مركزي يحيط به من جوانبه الأربعة حجرات صغيرة منفصلة في طابق أو أكثر، كما كان يحتوى على بيت للصلاة أو مسجد صغير ومنازة مرتفعة كما كانت أسواره الخارجية سميكة وعالية، وكان يشتمل على طاحون وخزان للمياه ومخازن للسلاح والمؤن لاستخدامها في مقاومة الحصار (المرجع السابق ص ٣٠) كما اهتم الدكتور بليغ بتأكيد دور المنارات في الأربطة الإسلامية كأبراج للمراقبة وإرسال إشارات التحذير حتى تنتشر بناؤها وحدها في كثير من الأحيان دون بقية أجزاء الرباط في مناطق عديدة من الدولة الإسلامية وقد اقتبس المسلمون هذه المنارات من

أهل الهند واطلقوا عليها اسم «الناور» التي قامت بنفس دور المنارات فكان يخصص لها الحراس لمراقبة الأعداء وتحركاتهم بالنهار والليل لذلك عرفوا بالسماز (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى بليغ، المرجع السابق، ص ٢٢ وما يليها).

٨٠- كان رباط البغدادية من أكثر أربطة القاهرة شهرة، أمرت بينائه الأميرة تذكارة باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥م). وكان مخصصا لإقامة السيدات المطلقات أو اللاتي هجرهن أزواجهن، وكان يخضعن فيه لنظام صارم وبنيق تحت إشراف العالمة الفقيهة زينب بنت أبي البركات المعروفة بالبغدادية التي (نسب الرباط إليها) فكانت تلقى عليهن الدروس الدينية وتعرفهن بعبادئ وأصول الدين الإسلامي (لمزيد من التفاصيل عن هذا الرباط والخانقاوات والأربطة المخصصة لكبار السن ارجع إلى محمد توفيق بليغ، نشأة الأربطة، ص ٦٤).

٨١- محمد الأمين بلفيخ الربط، ص ٢٥٠ ، ٢٥١.

٨٢- المرجع السابق، ص ٢٥٢.

٨٣- اهتم ميكل دي ابالسا بدراسة الرباط كمؤسسة إسلامية في الأندلس على وجه الخصوص على أساس أن المرابطة نشاط مكمل للجهاد، وقام بدراسة المسميات الإسبانية المختلفة المشتقة من كلمة الرباط العربية مثل Râpita - Rapido - Rabita، كما قام بدراسة الهيئات والمؤسسات التي تشابهت في وظائفها مع الرباط مثل المنستير وجمعها المنستيرات - Almosteres Almonachiles - Almonastires - Almonacides في اللفتين

الإسبانية والبرتغالية، ويذكر أن أصل هذه الكلمة يوناني استعمل في البداية للدلالة على المواقع التي يربط فيها المسلمون باستمرار في مجموعات يكثر عددها أو يقل، والزاوية في الإسبانية القديمة Zaguías، وتدل في رأيه على مصلى صغير للخوة الروحية، والجامعة Algimia أو Aljama في الإسبانية القديمة وهي مسجد يجتمع فيه الناس للصلاة. وقد فرق دي أباتا في دراسته هذه بين الجيوش النظامية للدولة الإسلامية في العصور الوسطى ولاسيما منذ عصر المرابطين (٦هـ / ١٢م) وبين حشود الزهاد المسلمين المصاحبين لهم، فالجنود يعضون إلى ساحة المعركة للقتال، والزهاد يذهبون للاستشهاد، ولعل هذا يفسر من وجهة نظره الهزائم العسكرية التي تعرض لها الجيش الإسلامي في مواقعة مسيخي الأندلس مثل مواقعة كثندة Cutanda (١٤هـ / ١٢٠م) التي أدت إلى ضياع وادي نهر أبرة، فقد أقسدت جماهير الصلحاء المسلمين الذين انضموا إلى صلب الجيش النظامي بزغيتهم في الاستشهاد، الخطة الدفاعية وكذلك الهجومية في صفوف الجيش الإسلامي (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى ميكل دي أباتا الرباط والرباطات في الأسماء والآثار الإسبانية، مجلة دراسات أندلسية العدد ١٣، يناير ١٩٩٥، ص ٦٩ - ٨٦). أما خايمي أوليفر آسين فقد اهتم بنوره بدراسة الأصل العربي للرباط وما اشتق من هذا الاسم من مسميات أخرى، وركز أيضا في دراسته تلك على الأريطة في الأندلس مشيرا إلى أن مصطلح الرباط وجد بكثرة في لغة شبه جزيرة إيبيريا ففي البرتغال توجد كلمة rebato في القطلانية rebat وباللغة الإسبانية arrebat و arre-bato, rebata, rebato ولهجة أهل بلنسية arrebat (لمزيد من

{Jaine Oliver Asin, Origin arabe de إلى التفاضيل ارجع إلى Rebato, p. 6}

٨٤- حسن عيد الوهاب، الإسكندرية في العصر الإسلامي، مجلة الكتاب، يناير ١٩٤٧، ص ٢٧٩ - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٢.

٨٥- ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن هذا المخطوط كان محفوظا بمكتبة أيا صوفيا ولكنه فقد (تاريخ الإسكندرية، ص ٩٢).

٨٦- سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ وهذا المخطوط صورة شمسية محفوظة بمكتبة كلية الآداب بالإسكندرية تحت رقم ٧٧٩ م مصورة من النسخة المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٨٧- السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، طبعة مصر ١٣٢١، ج ١، ص ٩٧.

٨٨- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق الدكتور زكي محمد حسن والدكتور شوقي ضيف والكتورة سيدة كاشف، القاهرة، ١٩٥٢، ج ١، ص ٥٥. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٥.

٨٩- السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٩٨.

٩٠- الكندي، كتاب الولاية وكتاب القضاة، بيروت، ١٩٠٨، تحقيق الأستاذ رفن حبست، ص ٢٦. السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ١٠٤.

٩١- السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ١١٨، ص ١٢١.

- ٩٢- السيوطي المصدر السابق، ج١، ص ١٢٤، ١٢٥ . سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٥، ٩٦.
- ٩٣- ابن رسته، كتاب الأعلام النفيسة، ليدن، ١٨٨١، ص ١١٨.
- ٩٤- ابن بطوطة، الرحلة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٠ . سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٩٦ . يبيع ، نشأة الرياط، ص ٢٤ - ٢٥.
- ٩٥- ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص ١١٨ . يبيع، نشأة الرياط ، ص ٢٦.
- ٩٦- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية، ص ٤٨١.
- ٩٧- سحر عبد العزيز سالم، شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي (التاريخ السياسي والحضاري)، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ٢٢٦، وما يليها.
- ٩٨- عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٤٨٢.
- ٩٩- المرجع السابق، ص ٤٨٢.
- ١٠٠- احمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٨٣ . محمد زنيير كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس، نور السوس في عهد الفتوح الأولى، مجلة البحث العلمي، العدد ٢، السنة الأولى، المغرب، ١٩٦٤، ص ١١٩ . محمد الأمين بلفيث، الربط بالمغرب الاسلامي، ص ١٤٢.
- ١٠١- محمد توفيق بلبع، نشأة الرياط وتطوره وأهمية نظام المرابطة في تاريخ المسلمين، من مطبوعات الجمعية الأثرية بالإسكندرية، ص ٥٢).

١٠٢- مزید من التفاصيل ارجع إلى Marçais, Note sur les Ribats en Berberie. (Melanges René Basset) edition Ernest Leroux, Paris, 1925, p.8)

(محمد الأمين بلفيث، الرباط، ص ١٤٤).

١٠٣- مزید من التفاصيل ارجع إلى محمد توفيق بليغ، نشأة الرباط، ص ٥٤، ٥٥

١٠٤- هاجرت في القرن ١٧م جماعات مختلفة من الموريسكيين إلى رباط الفتح من بلنسية وقشتالة واسترامانورة ولاسيما من المدينة التي تقع جنوبي شرقي ماردة ومن أرجون ومن قطلونيا ومن مرسية، وقد استقر مهاجرو

Homacho بقصبة الودايا. وانضموا إلى الجاليات الأندلسية التي هاجرت إليها من قبل. ويعرود الوقت اشتدت شوكة هؤلاء المهاجرين الأندلسيين ولم تعد السلطة المركزية قادرة على إخضاعهم وكونوا ما عرف في تاريخ المغرب بجمهوريات أبي رقراق، وبدأ هؤلاء المهاجرون في مهاجمة الإسبان والبرتغاليين من رباط الفتح وسلا وتعنوهم إلى غيرهم من فرنسيين وإنجليز وهولنديين، وكانت أوروبا تلقبهم بالقراصنة ولصوص البحر. وكان الزواد في هذا الجهاد البحري هم الجماعة أندلسية الأصل المعروفة بالجراناشيين وهي كلمة محرفة من كلمة هرناشونسية إلى مدينة Homacho الإسبانية. وكان الأندلسيون قبيل مجئ الحرناشيين يخضعون لسلطة القائد الذي تعينه الدولة ولكنهم يتحريض الحرناشيين خلعوا طاعته وتولوا الحكم بأنفسهم واختاروا عاملا من بينهم وكونوا مجلسا للحكم يعرف بالديوان نصف أعضائه من الرباط والنصف الآخر من سلا

وهكذا تشكلت جمهورية بحوض أبي رقرق ابتداء من سنة ١٠٢٢هـ /
١٦١٤م (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى بوجندار مقدمة الفتح، ص ٥٤ وما
يليها. عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح الرباط، ١٩٧٩، ص ١٠٤ وما
يليها.

١٠٥- لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات في تاريخ مصر، عصر البطالة، ص
٣١٨ وما يليها.

١٠٦- راشد البراوي حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨
ص ٢٥٥ وما يليها - سحر عبد العزيز سالم، تجارة عمان في الكارم
ومداها على سياسة مصر حتى طليعة القرن السابع الهجري، مسقط،
١٩٩١، ص ٢.

١٠٧- Heyd, Histoire du Commerce du Levant au moyen
Age, t I, Leipsig, 1923, p. 384.

١٠٨- المقرئى ، المخطط، ج١، ص ٢٠٦.

١٠٩- حدد بنيامين التطيلي أسماء دول كانت تتعامل مع الإسكندرية تجاريا
وكان لكل منها فندق بالإسكندرية منها البندقية ويطاردية وتسكانة وأماقى
وصقلية وقلوية ورومانية وكازارية وهنغارية وبلغارية وركوفية وكرواتية
وروسيا وألمانيا سكسونية ونيسلندا والترويج. (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى
Viajes, De Benjamin De Tudela , Madrid, 1918, p.
115.

وكانت للبندقية بالإسكندرية جالية كبيرة يدير شؤونها قنصل . وكان في
الحى البندقى فندقان وحمام ومخبز وكنيسة (شارل ديل، البندقية جمهورية
ارسقراطية، ترجمة د. أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، ١٩٤٨ ص ٥٩)
ولزيد من التفاصيل عن مكانة الإسكندرية التجارية فى العصر الإسلامى
ارجع إلى (السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية ص ٢٥٧ وما يليها،
ص ٥١٥ وما يليها).

١١٠- ارجع إلى عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، ص ٢٥٧ وما يليها.

١١١- Kruger, The Wars of Exchange in Speculum 12, 1973, p. 57 - Goitein, A Mediterranean Society, Vol I, Berkeley, 1967, p. 61,212,215-Goitein, Studies in Islamic History and Institutions, Leiden 1966, p. 297.

١١٢- سحر عبد العزيز سالم، علاقة مصر المملوكية بفرنطة قبيل وعقب
سقوطها من أعمال المؤتمر العالمى الخامس للدراسات الموريسكية، زغوان،
١٩٩٢، ج٢، ص ٨٤.

١١٣- ابن حجر العسقلانى، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد
سيد جاد الحق، طبعة القاهرة، ج٤، ص ٢٢ ترجمة ٣٦١٨.

١١٤- المصدر السابق، ج٢، ص ٨٠ ترجمة ٢٦٥١.

١١٥- السخاوى، الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع، مجلد٤، ج٨، ص ٢٨٩.

١١٦- بوجندار ، مقدمة الفتح ، ص ٧٧ .